مجلة جامعة حمص

سلسلة العلوم التاريخية والاجتماعية

مجلة علمية محكمة دورية

المجلد 47 . العدد ١

1443 هـ - 2025 م

الأستاذ الدكتور عبد الباسط الخطيب

رئيس جامعة حمص

المدير المسؤول عن المجلة

أ. د. وليد حمادة	رئيس التحرير
أ. د. درغام سلوم	رئيس التحرير

د.محمد فراس رمضان	عضو هيئة التحرير
د. مضر سعود	عضو هيئة التحرير
د. ممدوح عبارة	عضو هيئة التحرير
د. موفق تلاوي	عضو هيئة التحرير
د. طلال رزوق	عضو هيئة التحرير
د. أحمد الجاعور	عضو هيئة التحرير
د. الياس خلف	عضو هيئة التحرير
د. روعة الفقس	عضو هيئة التحرير
د. محمد الجاسم	عضو هيئة التحرير
د. خليل الحسن	عضو هيئة التحرير
د. هيثم حسن	عضو هيئة التحرير
د. أحمد حاج موسى	عضو هيئة التحرير

تهدف المجلة إلى نشر البحوث العلمية الأصيلة، ويمكن للراغبين في طلبها الاتصال بالعنوان التالي:

رئيس تحرير مجلة جامعة حمص

سورية . حمص . جامعة حمص . الإدارة المركزية . ص . ب (٧٧)

. هاتف / فاكس : ٢١٣٨٠٧١ ٣١ ٩٦٣ ++

. موقع الإنترنت : www.homs-univ.edu.sy

. البريد الالكتروني : journal.homs-univ.edu.sy

ISSN: 1022-467X

شروط النشر في مجلة جامعة البعث

الأوراق المطلوبة:

- ٢ نسخة ورقية من البحث بدون اسم الباحث / الكلية / الجامعة) + CD / word من البحث منسق حسب شروط المجلة.
- طابع بحث علمي + طابع نقابة معلمين.
- **اذا كان الباحث طالب دراسات عليا:**

يجب إرفاق قرار تسجيل الدكتوراه / ماجستير + كتاب من الدكتور المشرف بموافقته على النشر في المجلة.

- **اذا كان الباحث عضو هيئة تدريسية:**

يجب إرفاق قرار المجلس المختص بإنجاز البحث أو قرار قسم بالموافقة على اعتماده حسب الحال.

- **اذا كان الباحث عضو هيئة تدريسية من خارج جامعة البعث :**

يجب إحضار كتاب من عمادة كليته تثبت أنه عضو بالهيئة التدريسية و على رأس عمله حتى تاريخه.

- **اذا كان الباحث عضواً في الهيئة الفنية :**

يجب إرفاق كتاب يحدد فيه مكان و زمان إجراء البحث ، وما يثبت صفته وأنه على رأس عمله.

- **يتم ترتيب البحث على النحو الآتي بالنسبة لكليات (العلوم الطبية والهندسية والأساسية والتطبيقية):**

عنوان البحث . . ملخص عربي و إنكليزي (كلمات مفتاحية في نهاية الملخصين).

١- مقدمة

٢- هدف البحث

٣- مواد وطرق البحث

٤- النتائج ومناقشتها .

٥- الاستنتاجات والتوصيات .

٦- المراجع.

- **يتم ترتيب البحث على النحو الآتي بالنسبة لكليات (الآداب – الاقتصاد– التربية – الحقوق – السياحة – التربية الموسيقية وجميع العلوم الإنسانية):**
- عنوان البحث . . ملخص عربي و إنكليزي (كلمات مفتاحية في نهاية الملخصين).

١. مقدمة.
٢. مشكلة البحث وأهميته والجديد فيه.
٣. أهداف البحث و أسئلته.
٤. فرضيات البحث و حدوده.
٥. مصطلحات البحث و تعريفاته الإجرائية.
٦. الإطار النظري و الدراسات السابقة.
٧. منهج البحث و إجراءاته.
٨. عرض البحث و المناقشة والتحليل
٩. نتائج البحث.
١٠. مقترحات البحث إن وجدت.
١١. قائمة المصادر والمراجع.

٧– يجب اعتماد الإعدادات الآتية أثناء طباعة البحث على الكمبيوتر:

أ– قياس الورق ١٧,٥×٢٥ B5.

ب– هوامش الصفحة: أعلى ٢,٥٤– أسفل ٢,٥٤ – يمين ٢,٥– يسار ٢,٥ سم

ت– رأس الصفحة ١,٦ / تذييل الصفحة ١,٨

ث– نوع الخط وقياسه: العنوان . Monotype Koufi قياس ٢٠

. كتابة النص Simplified Arabic قياس ١٣ عادي . العناوين الفرعية Simplified Arabic قياس ١٣ عريض.

ج . يجب مراعاة أن يكون قياس الصور والجداول المدرجة في البحث لا يتعدى ١٢سم.

٨– في حال عدم إجراء البحث وفقاً لما ورد أعلاه من إشارات فإن البحث سيهمل ولا يرد البحث إلى صاحبه.

٩– تقديم أي بحث للنشر في المجلة يدل ضمناً على عدم نشره في أي مكان آخر، وفي حال قبول البحث للنشر في مجلة جامعة البعث يجب عدم نشره في أي مجلة أخرى.

١٠– الناشر غير مسؤول عن محتوى ما ينشر من مادة الموضوعات التي تنشر في المجلة

١١- تكتب المراجع ضمن النص على الشكل التالي: [١] ثم رقم الصفحة ويفضل استخدام التهميش الإلكتروني المعمول به في نظام وورد WORD حيث يشير الرقم إلى رقم المرجع الوارد في قائمة المراجع.

تكتب جميع المراجع باللغة الانكليزية (الأحرف الرومانية) وفق التالي:

آ . إذا كان المرجع أجنبياً:

الكنية بالأحرف الكبيرة . الحرف الأول من الاسم تتبعه فاصلة . سنة النشر . وتتبعها معترضة (–) عنوان الكتاب ويوضع تحته خط وتتبعه نقطة . دار النشر وتتبعها فاصلة . الطبعة (ثانية . ثالثة) . بلد النشر وتتبعها فاصلة . عدد صفحات الكتاب وتتبعها نقطة.

وفيما يلي مثال على ذلك:

–MAVRODEANUS, R1986– **Flame Spectroscopy**. Willy, New York, 373p.

ب . إذا كان المرجع بحثاً منشوراً في مجلة باللغة الأجنبية:

. بعد الكنية والاسم وسنة النشر يضاف عنوان البحث وتتبعه فاصلة، اسم المجلد ويوضع تحته خط وتتبعه فاصلة . المجلد والعدد (كتابة مختزلة) وبعدها فاصلة . أرقام الصفحات الخاصة بالبحث ضمن المجلة.

مثال على ذلك:

BUSSE,E 1980 Organic Brain Diseases **Clinical Psychiatry News** , Vol. 4. 20 – 60

ج. إذا كان المرجع أو البحث منشوراً باللغة العربية فيجب تحويله إلى اللغة الإنكليزية و التقيد

بالبنود (أ و ب) ويكتب في نهاية المراجع العربية: (المراجع In Arabic)

رسوم النشر في مجلة جامعة البعث

١. دفع رسم نشر (٥٠٠٠٠) ل.س أربعون ألف ليرة سورية عن كل بحث لكل باحث يريد نشره في مجلة جامعة البعث.

٢. دفع رسم نشر (٢٠٠٠٠٠) ل.س مئة الف ليرة سورية عن كل بحث للباحثين من الجامعة الخاصة والافتراضية .

٣. دفع رسم نشر (٢٠٠) مئتا دولار أمريكي فقط للباحثين من خارج القطر العربي السوري .

٤. دفع مبلغ (١٥٠٠٠) ل.س ستة آلاف ليرة سورية رسم موافقة على النشر من كافة الباحثين.

المحتوى

اسم البحث	اسم الباحث	الصفحة
الفكر الإصلاحي الاقتصادي في كتاب (سراج الملوك) لأبي بكر محمد بن الوليد الفهري الطرطوشي ٤٥١-٥٢٠هـ/١٠٥٩-١١٢٦م	ماهر عبد الظاهر د.اكتمال إسماعيل	١١-٤٨
دور استباقية وإبداع المرأة العاملة في تحسين واقع الخدمات المقدّمة بالمراكز الصحيّة من وجهة نظر المستفيدين (دراسة ميدانية محافظة اللاذقية)	د.نسرين طه	٤٧-٨٤
((رحلة محمد بن تومرت إلى المشرق الأسباب والنتائج))	موسى السلوم د.بسام العلوش د.أحمد الدالي	٨٥-١١٦
((العجائب في كتابات الرحالة العرب المسلمين المشارقة في القرن الثالث الهجري (ابن خرداذبة أنموذجاً)))	حسن فطراوي د.سلمان شحادة	١١٧-١٥٢

الفكر الإصلاحي الاقتصادي في كتاب (سراج الملوك) لأبي بكر محمد بن الوليد الفهري الطرطوشي ٤٥١-٥٢٠هـ/١٠٥٩-١١٢٦م

طالب الدراسات العليا: ماهر محمود العبدالظاهر

إشراف الأستاذة الدكتورة: اكتمال إسماعيل

قسم التاريخ – كلية الآداب والعلوم والإنسانية – جامعة دمشق

الملخَّص

شغل الإصلاح جانباً مهماً في مؤلفات المؤرخين منذ بداية عصر التدوين في العصر العباسي الأوّل، ومن الكتب التي تناولت الفكر الإصلاحي كتاب "**عيون الأخبار**" لابن قتيبة الدينوري، و"**الأحكام السلطانية**" لأبي الحسن الماوردي، و"**تصيحة الملوك**" للغزالي، و"**سراج الملوك**" لأبي بكر الطرطوشي، الذي يعدّ من طليعة رواد الفكر العربي والإسلامي في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي.

يمثل كشف اللثام عن فكر الطرطوشي في الإصلاح الاقتصادي وتأصيله تحدياً وواجباً على الباحثين، لما يحتويه من تراث العرب والمسلمين، ولذلك تكمن الدراسة الاقتصادية لبعض الأبواب في كتاب "سراج الملوك" إحدى المحاولات الجادة لإظهار إسهام علماء المسلمين في الحركات الإصلاحية التي تظهر بين الفينة والأخرى خلال التاريخ العربي الإسلامي.

يتضمن البحث مقدمة وعناوين عريضة أولها التَّعريف بالمؤلف، ثمَّ التعريف بكتابه، وبيّن الباحث تحت عنوان "الفكر الإصلاحي الاقتصادي عند الطرطوشي" أهم النقاط التي ترتكز عليها الدراسة، وبيّنَ أهمِّ الأفكار الاقتصادية التي ناقشها المؤلف في

معرض كتابه، وانتهى البحث بخاتمة بيّنت أبرز النقاط التي تم التوصـــل إليها في عرض الدراسة، من ثم قائمة لمصادره ومراجعه.

الكلمات المفتاحية: الفكر الإصلاحي الاقتصادي- أبو بكر الطرطوشي- سراج الملوك – الفكر- الاقتصاد- الإصلاح

Economic Reform Thought Of The Book (Siraj Almuluk) By Abu Bakr Muhammad bin Al-Walid Al-Fihri Al-Tartushi 451-520AH/1059-1126AD

Postgraduate student: Maher Mahmood Alabd Aldaher

Supervisor: Professor Ektimal Esmail

Department of History - Faculty of Arts and Humanities - Damascus University

Abstract

Reform occupied an important aspect in the writings of historians since the beginning of the era of blogging in the first Abbasid era. Among the books that dealt with reformist thought were the book "**Uyun al-Akhbar**" by Ibn Qutaybah al-Dinouri, "**Al'ahkam Alsultaniati**" by Abu al-Hasan al-Mawardi, "**Nasihat Almuluk**" by Al-Ghazali, and "**Siraj Almuluk**" by Abu Bakr al-Tartushi, who is considered one of the pioneers of Arab-Islamic thought in the fifth century AH/eleventh century AD.

Uncovering Al-Tartushi's thought in economic reform and rooting it represents a challenge and a duty for researchers, due to the heritage of Arabs and Muslims it contains. Therefore, the economic study of some chapters in the book "**Siraj Almuluk**" is one of the serious attempts to show the contribution of Muslim scholars to the reform movements that appear from time to time during Arab-Islamic history.

The research includes an introduction and broad headings, the first of which is an introduction to the, then an introduction to his.

Under the title "The Economic Reform Thought of al-Tartushi," the researcher clarifies the most important points on which the study is based, and clarifies the most important economic ideas that the author discussed in his book exhibition, and it ends. The research concludes with a conclusion that shows the most important points reached in presenting the study, then a list of its sources and references

Key words: Economic reformist thought - Abu Bakr Al-Tartushi - Siraj Al-Muluk - Thought - Economics - Reform.

مقدمة:

تُشـــكل كتب التراث العربي الإســـلامي حيزاً مهماً في منظومة العلوم والمعرفة في الحضـارة العربيّة الإسـلاميّة، وقد بذل العلماء المسـلمون الأوائل جهداً كبيراً في تدوين هذا التراث، للحاجة الماســة إليه في تنظيم حياتهم وتوفير حاجياتهم أولاً، وللاســتفادة منه في مواجهة وحل المشـكلات التي تعترضـهم ثانياً، وليبقى إرثاً عربياً إسـلامياً لا غنى عنه في العصور اللاحقة ثالثاً.

ومن كتب التراث التي تخصــصــت في الفكر الإصــلاحي الســياســي والاجتماعي والاقتصـادي وحتى التعليمي والتربوي، كتاب "سراج الملوك" لأبي بكر الطرطوشي، صنّفه خلال إقامته في الإسـكندرية في العصـر الفاطمي في مصـر ٣٥٨-٥٦٧هـــ/٩٦٩-١١٧١م، وقدمه هدية للوزير الفاطمي بدر الدين الجمالي عســـى أن ينفعه ويُدخله حيز التطبيق في وزارته، وهي محاولة إصـلاحية رآها المؤلف ضـرورية على الأقل في مجتمعه في الإسكندرية.

يعد الفكر الإصــلاحي المحور الأســاســي لكتاب ســراج الملوك، وقد اختصّ الباحث الأبواب المتعلقة بالاقتصـاد لدراسـة الفكر الاقتصـادي الإصـلاحي لدى المؤلف، إذ شكّلت

أفكاره ركيزة رئيسة للإصلاح في عصره، والتي تناولت موضوعات الخراج وبيت المال والإنفاق، وسيرة العمال في وظائفهم، بحيث يقدّم الطرطوشي برنامجه الإصلاحي عن طريق القَصَص التاريخي وتقديم العبرة والموعظة من سير الأنبياء والخلفاء والسلف الصالح.

قدَّم الطرطوشي فكره الإصلاحي الاقتصادي في صبغة دينية مستنداً إلى الروايات التاريخية من السلف ولا سيما من الخلافة الراشدة، إذ إنه قّلما يعقّب، مبتعداً عن إبداء رأيه الخاصّ، وكأنه يقدّم فكره بلسان من يروي عنهم بلا تعديل أو تغيير، إذ يراه متكاملاً لا ينقصه من البيان والتوضيح سوى التفكّر.

- **إشكالية البحث وأهميته:**

تتمثل إشكالية البحث في افتراض وجود فكر إصلاحي اقتصادي في كتاب أبي بكر الطرطوشي "سراج الملوك"، إذ إن الكتاب على كثرة أبوابه، يتضمن أربعة أبواب فقط تخص الاقتصاد، حيث أن الكشف عن هذا النوع من الفكر، يحتاج إلى دراية بعلم الاقتصاد والشريعة الإسلامية، وعلى هذا تشكل برهنة وجود فكر إصلاحي اقتصادي في الكتاب سالف الذكر إشكالية وجب البحث فيها وبيان حقيقتها من عدمها.

- **أهداف البحث وأسئلته:**

يهدف البحث إلى التعريف بالمؤلف والإضاءة على شخصيته، والكشف عن جوانبها قدر المستطاع، والتعريف بكتابه "سراج الملوك"، ومعرفة دوافع تصنيفه، والكشف عن أهم الآراء والأفكار الاقتصادية التي جاء بها، ويجيب البحث عن بعض الأسئلة التي تدور حولها الدراسة، ومنها: هل كانت رؤية المؤلف الإصلاحية الاقتصادية جديدة في عصره؟ هل جاءت الأبواب التي خصصها في كتابه للإصلاح الاقتصادي مفيدة في جملة كتب التراث العربي والإسلامي في مجال الفكر الاقتصادي؟ هل كانت أفكاره سباقةً لعصره أم أنها كانت متأخرة في هذا النوع من ميادين العلم والمعرفة؟

- **منهج البحث:**

اعتمد البحث المنهج الاستقرائي التاريخي، ثم المنهج التحليلي، وذلك باستخراج الأفكار الاقتصادية المتعلقة بموضوع الدراسة من كتاب "سراج الملوك" وتحليلها تحليلاً علمياً وموضوعياً بعيداً عن الأهواء والميول الشخصية، ومن ثَمَّ الوصول إلى الآراء والأفكار التي توضّح رؤية الفكر الإصلاحي الاقتصادي لدى أبو بكر الطرطوشي.

أولاً: التعريف بالمؤلف: أبو بكر الطرطوشي (٤٥١-٥٢٠هـ/١٠٥٩-١١٢٦م)

هو محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن أيوب، القرشي الفهري، الطرطوشي، المعروف بابن أبي رَندقة[١]، وذكر الحنبلي بأنه معروف بابن أبي زيد، ولد ونشأ في مدينة طرطوشة[٢] الأندلسية سنة ٤٥١هـ/٥٢٠م، وهي أحد أهم الثغور في مملكة سرقسطة[٣] في الأندلس آنذاك، والده الوليد كما سلف ذكره، ينتهي نسبه إلى قريش، ومن الواضح عروبة الطرطوشي البحتة، ولا يُعرف السبب الحقيقي لكنيته بأبي رندقة، على الرغم من أن هذه الكلمة إفرنجية الأصل. (الزركلي: ٢٠٠٢م، ج٧، ص١٣٣،١٣٤) (ابن خلكان، د.ت، ج٤، ص٢٦٢) (الضبّي، ١٩٨٩م، ج١، ص١٧٩) (ابن تغردي بردي، ١٩٩٢م، ج٥، ٢٣١،٢٣٢) (ابن بشكوال، ١٩٨٩م ، ج٣، ص٨٣٨،٨٣٩) (الحنبلي، ١٩٨٩م، ج٦، ص١٠٢-١٠٤) (الحموي، ١٩٧٧م ، ج٤، ص٣٠،٣١) (المقري،

---

[١] رُندقة أو رَندقة: لفظة إفرنجية، مكونة من مقطعين معناها "تعال إلى هنا". (ابن خلكان، د.ت، ج٤، ص٢٦٥)

[٢] طرطوشة: مدينة بالأندلس، وكانت آخر بلاد المسلمين، وهي شرقي بلنسية وقرطبة، قريبة من البحر، وهي متقنة العمارة ومبنية على نهر أبرُه، وفيها بلاد واسعة تعد من جملتها، وهي مدينة تجارية. (الحموي، ١٩٧٧م ج٤، ص٣٠،٣١) (المقري، ١٩٨٨م، ج٢، ص٨٧)

[٣] سرقسطة: بلدة مشهورة في الأندلس، اشتق اسمها العربي من اسمها الروماني Caesar Augusta، تتميز بموقع حصين ومنعة أسوارها، وقد مثلت منذ عهد الإمارة زعامة الأسرة العربية والرياسة العربية في الثغر الأعلى للأندلس، واستمرت خلال القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، سيطر عليها المرابطين سنة ٥٠٣هـ/١١١٠م، ثم سقطت سنة ٥١٢هـ/١١١٨م بيد الإسبان. (الحموي، ١٩٧٧م، ج٣، ص٢١٢-٢١٤) (عنان، ١٩٩٤م، ج٣، ص٨٦)

١٩٨٨م، ج٢، ص٨٨) (حاجي خليفة، ١٩٤١م، ج٢، ص٩٨٤) (الشـــيال، ٢٠٠١م، ص٥٠-١٠٠)

لم تذكر المصادر التاريخية شيئاً عن أسرته، سوى رواية الطرطوشي نفسه في كتابه "سراج الملوك" عن خال والدته، يُدعى ابن فتحون، وتتحدث هذه الرواية عن شجاعة ابن فتحون الكبيرة، وأن الخليفة المســـتعين بالله[١] كان يكنُّ له الاحترام والتقدير، ويعتزُّ بشجاعته ويلجأ إليه في المصائب الكبرى. (أبو بكر الطرطوشي، ١٩٩٤م، ص٧٠١-٧٠٣)

ويبدو أن الطرطوشي نشأ من أسرة متوسطة الحال، حيث ذكر شيئاً من هذا القبيل من خلال تهكمه في حديثه الذي أورده في كتابه، فعندما أراد السفر والخروج من الأندلس إلى بلاد المشرق لم يكن يعرف من وسائل الكسب شيئاً، سوى العمل في البساتين، وهي مهنة لم تكن لتوّفر النفقة الكافية للسفر إلى المشرق وخاصة بما يُعرف عن طول الطريق (أبو بكر الطرطوشي، ١٩٩٤م، ص٦٦٥)، والواضح أنها كانت من أكبر مشاكله، وأن باله منشـــغل في أمر النفقة، ويبدو أنه بقي على نفقة والده حتى أصـــبح عمره خمس وعشرين سنة، عندما ارتحل إلى بلاد المشرق طلباً للعلم، ويمكن القول أن والده كان من المشـتغلين بالعلم، لهذا وجّه ابنه هذه الوجهة التي يرضـاها، ووفّر له المال للسير فيها. (أبو بكر الطرطوشي، ١٩٩٤م، ص١٣) (الشيال، ٢٠٠١م، ص٥٠-١٠٠)

بدأ الطرطوشي مسيرة تعليمه في مسجد طرطوشة الكبير، وتلقى فيه علوم الفرائض والحساب، وتتلمذ في العشرينات من سنه على يدي أبي الوليد الباجي[٢]، وكان بصحبته

---

[١] المستعين بالله: هو سليمان بن محمد بن هود، استطاع انتزاع عرش سرقسطة سنة ٤٣١هـ/١٠٣٩م من أيدي بني تجيب، دارت بينه وبين المأمون بن ذي النون حرب ضروس كانت شؤماً على المسلمين، توفي بعد ثمانية أعوام من حكمه سنة ٤٣٨هـ/١٠٤٦م واستلم ابنه أحمد الملقب بالمقتدر. (عنان، ١٩٩٤م، ج٣، ص٢٧١-٢٧٣)

[٢] أبو وليد الباجي: سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب التجيبي نسبة إلى قبيلة تجيب العربية، التميمي نسبة إلى قبيلة تميم، الباجي نسبة إلى المدينة الأندلسية باجة، ولد سنة ٤٠٣هـ/١٠١٣م، نشأ في أسرة أندلسية ذات علم ودين

في سرقسطة، وتلقى منه مسائل الخلاف وسمع منه وأجازه فيها، وذكرت المصادر التاريخية أن الطرطوشي أخذ الأدب من ابن حزم الأندلسي. (ابن خلكان، د.ت، ج٤، ص٢٦٢) (المقري، ١٩٨٨م، ج٢، ص٨٨)

وهنا لا بد من التذكير أن ابن حزم الأندلس توفي سنة ٤٥٦هـ/١٠٦٣م، وبالمقارنة بين ولادة الطرطوشي ووفاة ابن حزم، يُلاحظ أن الطرطوشي كان يبلغ من العمر خمس سنوات، ومن هنا يمكن استبعاد هذه الرواية، والقول أنه غالباً قد قرأ أدب ابن حزم على أحد تلامذته أو أخذه بنفسه من كتبه.

غادر الطرطوشي بلده سنة ٤٧٦هـ/١٠٨٣، والمعروف عن طلاب العلم القادمين من بلاد المغرب عموماً أن تكون الوجهة الأولى لهم هي الديار المقدسة، والرغبة بالابتداء برحلة علمية بأداء مناسك الحج، وطلب العلم في مكة المكرمة مهد الديانة الإسلامية، ويذكر أحد أصحابه[١] ممن درسوا معه في سرقسطة، أنه أخذ عن الطرطوشي أكثر السنن لأبي داود عن التستري[٢]، وهذا يدل على أنّه درّس في مكة خلال فترة إقامته الغير معروفة بالتحديد.

يستطرد صاحب الطرطوشي حديثه، بأنه لقيه أيضاً في بغداد بعد مدة، وبغداد حينئذ مركز الخلافة العباسية، ومقصد طلاب العلم من مشارق الأرض ومغاربها، حتى أن الطرطوشي يذكر في كتابه حين حط رحاله في بغداد عن وضعها العلمي، ويشيد بالوزير

وفقه، وتنقل بين مدنها، رحل إلى المشرق الإسلامي سنة ٤٢٦هـ/ لطلب العلم، وأقام بالحجاز والعراق والشام، وتولى القضاء في حلب وفي مدن أندلسية مختلفة، توفي سنة ٤٧٤هـ/١٠٨١م. (القاضي عياض، ١٩٨٣م، ج٢، ص٨٠٨) (الحموي، ١٩٧٧م، ج١١، ص٢٤٩) ؛ (ابن فرحون، ١٩٧٢م، ص١٢٢) (الضبي، ١٩٨٩م، ص١٨١)؛ (الذهبي، ١٩٨٤م، ج١٨، ص٥٣٦)؛ (السيوطي، ٢٠١٠م، ص٥٢) (ابن بسام الشنتريني، ١٩٨١م، ج٢، ص٩٥)

[١] وهو القاضي أبو علي الحسين بن محمد بن فرو الصدفي. (الشيال، ٢٠٠١، ص٥٧)

[٢] التستري: علي بن أحمد بن علي بن إبراهيم بن بحر، أبو علي التستري، البصري السقطي، وأصله من تستر في الأهواز من بلاد خوزستان، وكان العلماء يرتحلون إليه لسماع سنن أبي داوود، وكان وجهاً من وجوه البصرة في الحال والمال، وكان حسن المعتقد، صحيح السماع، ت٤٧٩هـ/١٠٨٦. (الذهبي، ١٩٩٤م، ج٣٢، ص٢٦٩)

السلجوقي نظام الملك[١] بعنايته بالعلم والعلماء (أبو بكر الطرطوشي، ١٩٩٤م، ص٥١٣)، وكانت المدرسة النظامية التي بناها نظام الملك قد افتتحت أبوابها لطلاب العلم قبل وصول الطرطوشي بسنوات قليلة، وقد تتلمذ فيها على أيدي كبار فقهاء الشافعية والحنبلية. (الحموي، ١٩٧٧م، ج٤، ص٣٠) (الشيال، ٢٠٠١م، ٦٠،٦١)

درس التصوّف ونبغ فيه، ويبدو أنه تأثر بالتصّوف حتى عدّه بعض المتصوفين من الزّهّاد، وتعلم الشعر من الشيوخ العراقيين، ومنهم أبي العباس الجرجاني[٢] وأبي محمد التميمي[٣]، ودليل ذلك استشهاده بالأبيات الشعرية في كتابه، وخلال إقامته في العراق زار مدينة البصرة، وأخذ العلم فيها على أيدي شيوخها. (أبو بكر الطرطوشي، ١٩٩٤م، ص٨١) (الحموي، ١٩٧٧م، ج٤، ص٣٣)

توجه الطرطوشي إلى الشام بعد رحلته في العراق، ويبدو أنه بقي في العراق قرابة الأربع سنوات، وغادرها وهو بعمر الثلاثين (أبو بكر الطرطوشي، ١٩٩٤م، ص١٨)، وعمل بالشام بالتدريس بعد أن حصّل العلوم في العراق، فأقبل عليه الناس وأحبوه، وذاع صيته في بلاد الشام (ابن خلكان، د.ت، ج٤، ص٢٦٢)، وكان الغالب عليه الزهد

---

[١] نظام الملك: الحسن بن علي بن إسحاق بن العباسي الطوسي، ولد سنة ٤٠٨هـ/١٠١٧م، برع بالسياسة والإدارة والحرب، وزر للسلاطين السلاجقة، وكن رجلاً حكيماً عاقلاً، محباً للعلم والعلماء، توفي سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م. (ابن الجوزي. ١٩٩٢م، ج١٦، ص٣٠٢-٣٠٧) (اليافعي، ١٩٩٧م، ج٣، ص١٠٣-١٠٥)

[٢] أبي العباس الجرجاني: أحمد بن محمد بن أحمد الجرجاني نسبة إلى محل ولادته مدينة جرجان الفارسية، كاتب وشاعر وفقيه، غادر بلاد فارس إلى العراق، عاش في العراق في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، وتتلمذ في بغداد وواسط على شيوخها وأخذ العلم عنهم، وتولى القضاء بالبصرة، ودرّس بها، وله عدة مؤلفات في الفقه الشافعي ومصنفات في الأدب، توفي سنة ٤٨٢هـ/١٠٨٩م. (السبكي، ١٩٦٤م، ج٤، ص٧٤-٧٦) (الشيال: ٢٠٠١م، ص٦٢)

[٣] أبو محمد التميمي: رزق الله بن عبد الوهاب بن عبد العزيز بن الحارث بن أسد، فقيه حنبلي واعظ، من أسرة ذات علم كبيرة، ومن كبار أهل بغداد وأجلهم، توفي سنة ٤٨٨هـ/١٠٩٥م. (أبو بكر الطرطوشي، ١٩٩٤م، ص٨٤) (الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٣٣، ص٢٤٢) (أبي يعلى الفراء، ١٩٩٩م، ج٣، ص٤٦٤-٤٦٦) (الزركلي، ٢٠٠٢م، ج٣، ص١٩)

والتقشف والورع وكانت نفسه أبية، (ابن فرحون، ١٩٧٢م، ص٢٤٥)، حتى أن السلاطين والأمراء يسعون إلى بِرِّه ووصله، وكان يُعرض عنهم وعن مجالسهم، ويبالغ لهم بالنصح والإرشاد (ابن فرحون، ١٩٧٢م، ص٢٤٥).

زار الطرطوشي بيت المقدس وأقام فيها مدة، ويبدو أنه أراد رؤية أبي حامد الغزالي الذي لم تتسنى له رؤيته في بغداد، حيث خرج الطرطوشي من بغداد قبل أن يصل إليها الغزالي ويُعيَّن مدرساً في المدرسة النظامية سنة ٤٨٤هـ/١٠٩١م، انتقل بعدها إلى جبل لبنان وصحبه رجل يُدعى عبد الله السايح[١]، ثمَّ إلى مصر حوالي سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م، وعلى هذا أمضى الطرطوشي حوالي عشر سنوات في الشام، ويبدو أنه تنقل في كبريات مدنها، مثل حلب وأنطاكية فإنه يشير إلى وصوله إلى هذه المناطق في كتابه (أبو بكر الطرطوشي، ١٩٩٤م، ص٦٦٥) (الشيال: ٢٠٠١م، ص٦٩)، ويبدو أن رحيله إلى مصر جاء بعد وصول الحملة الصليبية الأولى إلى الشرق ٤٩٠هـ/١٠٩٦م، التي هددت فيما بعد الساحل الشامي ومدنه وبيت المقدس، وقد يكون هذا هو السبب الرئيس في توجهه إلى مصر، وعلى هذا يكون وصل مصر وعمره حوالي الأربعين سنة.

خرج الطرطوشي من جبل لبنان برفقة صاحبه عبد الله السايح، فوصلا منطقة رشيد[٢] وأقاما فيها مدة، وكان صاحب مصر وقتذاك الخليفة الفاطمي المستعلي بالله (٤٧٨-٤٩٥هـ/١٠٨٥-١١٠١م)، ووزيره الأفضل بن بدر الدين الجمالي[٣]، وقد سمع أهل

---

[١] لم يجد الباحث له ترجمة.

[٢] رشيد: بلدة على ساحل البحر الأبيض المتوسط، وعلى ضفاف نهر النيل، بالقرب من مدينة الإسكندرية. (الحموي، ١٩٧٧م، ج٣، ص٤٥)

[٣] الأفضل بدر الدين بن عبد الله الجمالي، أرمني الأصل، اشتراه جمال الملك بن عمار الطرابلسي، وربّاه، وترقّت به الأحوال، ولّي عكا والشام أكثر من مرة، استدعاه الخليفة الفاطمي المستنصر بالله من عكا سنة ٤٦٦هـ/١٠٧٣م، بعد تخبط أوضاع الخلافة الفاطمية في مصر والشام واليمن، ونصبه أمير الجيوش ولقبه بكافل قضاة المؤمنين "قاضي القضاة"، وهادي دعاة المؤمنين "داعي الدعاة"، وفوّض إليه جميع سلطاته، وأصبح بذلك صاحب الحلّ والعقد

الإسكندرية وعلى رأسهم القاضي ابن حديد[١] بوصول الطرطوشي إلى رشيد، مما يدل على شهرته وصيته حتى في مصر، فاتفقوا على اللقاء به ودعوته للتدريس في الإسكندرية لقلة العلماء فيها[٢]، ووصف ابن فرحون الحال بعد وصوله إلى الإسكندرية بعودة الرونق إلى المدينة من الناحية العلمية كما في السابق، ومحبة الناس له (ابن فرحون، ١٩٧٢م، ص٢٤٧).

بدأ فور استقراره بالإسكندرية بالتدريس على المذهب المالكي، وزادت شهرته وتجّمع الناس والطلاب في حلقاته، ولم يكن يلقي درسه ويصرف طلابه فحسب، بل كان يمشي معهم في معظم الأوقات، ويخرجون إلى البساتين والمزارع، ويتذاكرون جميعهم (ابن فرحون، ١٩٧٢م، ص٢٤٧)، وهذا إذ يمكن وصفه بالمتابعة التعليمية كما هو معروف في العصر الحالي.

تزوّج الطرطوشي من أحد أكبر بيوت في الإسكندرية، بيت بني عوف، المعروفين بالفضل والعلم والجاه، فالمرأة التي تزوجها هي خالة فقيه الإسكندرية أبي الطاهر بن

في الدولة، وكان له دور كبير في إزاحة ابن المستنصر نزار عن الخلافة وتنصيب الابن الأصغر أحمد، توفي الأفضل سنة ٤٨٨هـ/١٠٩٥م. (الذهبي، ١٩٩٤م، ج٣٣، ص٢٣٥-٢٣٧)

[١] القاضي ابن حديد: أبو طالب أحمد بن عبد المجيد بن أحمد بن الحسن بن حديد بن صمدون الكناني، الملقب بمكين الدولة، وقد تولى أكثر من واحد من أسرته منصب القضاء في الإسكندرية، وإلى جانب اختصاصاته القضائية فقد جُمعت إليه المالية والإدارية والضرائبية، ومدحه الشعراء كثيراً. (المقريزي، ١٩٩٧م، ج٢، ص٣٣٤) (المقري، ١٩٨٨م، ج٢، ص٢٩٢)

[٢] كانت السلطة الفعلية في مصر في يد الوزير الأفضل بن بدر الدين الجمالي في عهد الخليفة الفاطمي المستنصر، فلما مات الخليفة، أسرع الوزير إلى مبايعة ابن الخليفة الأصغر أحمد، ولقبه المستعلي بالله، وعمل إلى إزاحة الابن الأكبر نزار ومعاداته، ففر نزار إلى الإسكندرية وعمل على استمالة أهلها وجيشها فبايعوه بالخلافة، مما دفع الوزير بالخروج بجيش كبير إلى الإسكندرية ومحاصرتها مدة، وألقى القبض على نزار وقتله، وانتقم الوزير من أهل الإسكندرية شر انتقاماً، حتى أنه قتل عدد من علمائها، وتعطلت الشعائر الدينية. (الشيال، ٢٠٠١م، ص٧٠)

عوف[١]، أحد تلامذة الطرطوشي، وسيكون خليفته في العلم، وكانت زوجته ذات مال وجاه، فأطلقت يد زوجها في أموالها، فتحسنت أحواله، حتى أنها وهبته داراً من طابقين، جعل الطابق السفلي أشبه بالمدرسة يتدارس فيها مع طلابه القادمين من خارج الإسكندرية، ويستضيفهم بها، والدور العلوي سكناً له ولزوجته (ابن فرحون، ١٩٧٢م، ص٢٤٥) (الشيال: ٢٠٠١م، ص٧١).

خلال إقامته في الإسكندرية خرج في زيارة إلى القاهرة، قاصداً الوزير الأفضل شاهنشاه، لتقديم النصيحة والوعظ الحسن، ويطلب منه الرفق في الرعية واستقبال المظلومين وإنصافهم، وهذا يدل على جرأة الطرطوشي الذي لا يخشى في الحق لومة لائم، وقد ضمّن كتابه هذه الموعظة، وهذا دليل على فكره الإصلاحي في سياسة المُلك، ورغبته في نشر العدل ورفع الظلم في البلاد.

عاد بعد زيارته القاهرة إلى الإسكندرية، وتابع تدريسه، فكثر طلابه، وكان إذا خرج في رحلة، خرج معه زهاء أربعمائة من طلابه، فحظي بإقبال كبير لدى تلامذته وصحبه، وتعدّ هذه الأعداد أشبه بالمواكب المهيبة واللافتة للانتباه، مما شكل حالة من المنافسة للقاضي ابن حديد، وخطورة على مركزه ومكانته، فجرَّ هذا الإقبال على الطرطوشي الوبال عليه، بحيث لم يعجب ذلك القاضي الذي تغيّر عليه، والمعروف أيضاً عن الطرطوشي بعدم محاباته لذوي الجاه والسلطان، وأنه لا يخشى من قول الحق في حضرتهم، ويمكن القول أنه أظهر في بعض فتاواه جانباً يعارض بها النظم والقواعد القائمة التي تأخذ بها

[١] أبو الطاهر بن عوف: إسماعيل بن مكي بن إسماعيل بن عيسى بن عوف الزهري، ينتهي نسبه إلى الصحابي الجليل عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، ولد سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م، وتتلمذ على يدي أبو بكر الطرطوشي، نبغ بين أقرانه وأصبح إمام عصره في المذهب المالكي في الإسكندرية، ورعاً زاهداً كثير التعبد والتواضع، توفي سنة ٥٨١هـ/١١٨٥م. (الذهبي، ١٩٩٤م، ج٤١، ص١٠٢) (ابن تغردي بردي، ١٩٩٢م، ج٦، ص٩١)

الدولة[١]، وينتقد من العادات السائدة في المجتمع والتي تنافي الدين الإسلامي وأصوله حسب رأيه. (أبو بكر الطرطوشي، ١٩٩٤م، ص٢٥)

على هذا المآخذ القائمة بين القاضي ابن حديد والطرطوشي[٢]، رفع القاضي شكواه إلى الأفضل شاهنشاه، والذي أرسل بدوره يطلب من الطرطوشي المثول بين يديه في القاهرة، والتقى به وعامله معاملة طيبة، ولكن أجبره على البقاء في الفسطاط[٣] في مسجد الرصد، ومنع الناس من حضور حلقاته، وعيّن له راتباً شهرياً، وسمح لخادمه بالبقاء معه، وبقي على هذا الحال شهوراً، حتى قُتل الأفضل شاهنشاه وتسلم بعده المأمون البطائحي[٤]، الذي كان يعلم ما حدث بين الطرطوشي والوزير الأفضل، فافرج عنه وأكرمه وقرّبه إليه. (الشيال: ٢٠٠١م، ص٧٧)

عاد الطرطوشي إلى الإسكندرية وتابع نشاطه التعليمي، وتفرّغ أيضاً لكتابة كتابه "سراج الملوك"، وأتم كتابته في سنة واحدة، وحمله سنة ٥١٦هـ/١١٢٢م إلى القاهرة إلى الوزير الجديد المأمون البطائحي، لعله يكون مرشداً ومفيداً له في سيرته الوزارية.

استقبله المأمون البطائحي أحسن استقبال، فلما دخل عليه نزل من كرسيه وجلس بين يديه وكأنه تلميذه، وتناقشا في موضوعات كانت محط جدل، منها تلك المواضيع التي

---

[١] افتى الطرطوشي بتحريم الجبن الذي يستورد من الروم إلى الإسكندرية، حتى أنه ألّف في هذا الصدد رسالة صغيرة، وألّف كتاباً آخر أسماه "بدع الأمور ومحدثاتها". (الشيال، ٢٠٠١م، ص٧٥)

[٢] كان القاضي ابن حديد يخشى أيضاً من تكرار ما حدث بالأمس من مبايعة أهل الإسكندرية لنزار، وثورتهم ضد الأفضل، وأنهم يميلون هذه المرة مع أبو بكر الطرطوشي. (الشيال، ٢٠٠١م، ص٧٦)

[٣] الفسطاط: هي المدينة التي بناها عمر بن العاص بعد فتح مصر سنة ٢١هـ/٦٤١م، وتقع على ساحل النيل الشمالي، وهي أول عاصمة لمصر في ظل الحكم الإسلامي، إلى أن بنى جوهر الصقلي القاهرة ونقل إليها مركز الحكم في عهد الخليفة الفاطمي المعز لدين الله. (الحموي، ١٩٧٧م، ج٤، ص٢٦١-٢٦٥)

[٤] المأمون البطائحي: الأمير بن الأمير محمد بن فاتك، أبو عبد الله بن أبي شجاع البطائحي، وزر للخليفة الفاطمي الآمر بالله أربع سنوات، كان جبّاراً متكبراً، وكان كريماً شهماً سفاكاً للدماء، قبض عليه الخليفة لما رأى من خيانته وموالاته لأخيه عليه سنة ٥١٩هـ/١١٢٥م، واستصفى جميع أمواله، ثم قتله وصلبه بظاهر القاهرة سنة ٥٢٢هـ/١١٢٨م. (الذهبي، ١٩٩٥م، ج٣٦، ص٧٨) (الصفدي، ٢٠٠٠م، ج٤، ص٢٢٢)

يراها الطرطوشي منافية للشرع، ومن الضرورة مراجعتها، منها مسألة النظم المتبعة في الميراث، واتفقا على حل يرضي جميع الأطراف، وعلى أي حال فقد كان كتاب سراج الملوك متضمناً جميع هذه المسائل، ويحدد حقوق وواجبات كل من الراعي والرعية.

استقر الطرطوشي على أعقاب هذا الاتفاق في القاهرة لمدة شهرين، وقبل عودته إلى الإسكندرية، ذهب إلى الوزير يودعه ويطلب منه الموافقة على بناء مسجد في الإسكندرية، فأذن له، وكتب رقعة بالموافقة وطلب فيها من القاضي ابن الحديد الإشراف على البناء وأن تكون نفقته على مال ديوان الدولة. (ابن فرحون، ١٩٧٢م، ص٢٤٦) (الشيال: ٢٠٠١م، ص٧٧)، ويبدو من العلاقة الطيبة بين الطرطوشي والمأمون البطائحي قد أثمرت، وأن كتاب سراج الملوك لربما قد لاقى قبولاً لدى المأمون، إنما لا يعوّل الباحث أن يكون ذلك سبباً وحيداً وكافياً في تغيير سياسة الوزير تجاه الطرطوشي ومحاباته له، إلا أنه أحد الأسباب.

ومن ناحية أخرى فقد كان لأبي بكر الطرطوشي النتاج العلمي الخصب من المؤلفات في علوم مختلفة منها الفقه التفسير، ومسائل الخلاف، ومنها ما يتعلق بعلم السياسة، وفنون الحكم، ومنها أيضاً ما يعالج المجتمع وأحواله، ويبدو أنه كتب مؤلفاته بعد استقراره في الإسكندرية، ويبلغ عدد مؤلفاته زهاء العشرين مؤلفاً، موجود منها تسعة والباقي في حكم المفقود، وقد طُبع من التسعة كتابين، والمتبقي منها ما زالت مخطوطة، تنتظر نور التحقيق وكشفها للمكتبة العربية الإسلامية.

ومن مؤلفاته كتاب "مختصر تفسير الثعالبي"، ألفه أثناء مقامه في الشام، وكان يدرّسه في المسجد الأقصى، و"الكتاب الكبير في مسائل الخلاف"، وهو في خمسة أجزاء، و"كتاب الأسرار"، وقد أشار إليه في كتابه سراج الملوك (أبو بكر الطرطوشي، ١٩٩٤م، ص١٠)، و"كتاب الحوادث والبدع أو "بدع الأمور ومحدثاتها"، وهو كتاب محقق تمت طباعته سنة ١٩٥٩م، و"كتاب برُّ الوالدين"، ويبدو من عنوانه أنّه موجّه إلى الأبناء، و"كتاب نزهة

الإخوان المتحابين في الله"، و"كتاب رسالة العدة عند الكرب والشدة"، و"كتاب النهاية في فروع المالكية"، وأبرز كتبه كتاب "سراج الملوك"، وقد طبع في أكثر من طبعة، وتشمل مادته بعضاً من كتب التاريخ والأدب، ومن الأحكام السلطانية في السياسة والحكم وتدبير الممالك، وسيتم التعريف بالكتاب في عنوان مستقل. (أبو بكر الطرطوشي، ١٩٩٤م، ص٣١) (الشيال، ٢٠٠١م، ص٨٢-٨٤)

الجدير بالذكر أن بعضاً من تلامذته النجباء الذين تخرجوا على يديه، ونبغ عدد منهم، خلفوه في حلقاته ومجالسه، وأصبحوا أعمدة الحركة العلمية فيما بعد، ومن أبرزهم سند بن عنان الأزدي[١]، وأبو الطاهر بن عوف الزهري، وأبو بكر بن العربي المعافري الإشبيلي[٢]، وأبو عبد الله محمد بن عبد الله الملقب بن تومرت[٣]، مؤسس دولة الموحدين في المغرب.

انتقل أبو بكر الطرطوشي إلى جوار ربه سنة ٥٢٠هـ/١١٢٦م، وقيل في سنة ٥٢٥هـ/١١٣٠م، وصلّى عليه تلميذه أبو الطّاهر بن عوف، ودُفن في مقبرة وعلة، غربي

---

[١] سند بن عنان بن إبراهيم بن حريز بن الحسين بن خلف الأزدي، المكنى بأبي علي، لا يُعرف على وجه التحديد سنة ولادته، إلا أنه اشتهر كأحد نوابغ التلاميذ عن أبو بكر الطرطوشي، فأخذ عنه العلم والأخلاق، ولازم حلقته سنين طويلة، وكان من زهّاد العلماء وكبار الصالحين، توفي سنة ٥٤١هـ/١١٤٦م. (ابن فرحون، ١٩٧٢م، ص٣٣٩)

[٢] أبو بكر بن العربي: محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن العربي المعافري، الأندلسي الإشبيلي المالكي المذهب، ولد سنة ٤٦٨هـ/١٠٧٥م، أحد الأئمة والحفاظ البارزين، ارتحل إلى المغرب ثم إلى الديار المصرية طلباً للعلم، وسكن في دمشق وبيت المقدس، ثم انتقل إلى العراق، ومكة والمدينة، وعاد إلى مصر، ومنها إلى بلاده الأندلس، توفي في المغرب سنة ٥٤٣هـ/١١٤٨م. (الذهبي، ١٩٨٤م، ج٢٠، ص١٩٧) (الضبي، ١٩٨٩م، ص٣٣٧)

[٣] محمد بن عبد الله بن تومرت المصمودي الملقب بالمهدي، مؤسس دولة الموحدين، ولد سنة ٤٥٨هـ/١٠٩٢م، ارتحل إلى بلاد المشرق طلباً للعلم، فدخل العراق ودرس بالمدرسة النظامية، وأخذ عن شيوخها العلم، ثم رحل إلى مكة لأداء فريضة الحج، ومنها إلى مصر، وقصد الإسكندرية وتتلمذ على يدي أبو بكر الطرطوشي، ثم أبحر إلى المغرب ولم يعمر طويلاً، كان عظيم الهمة، شديد الذكاء، فصيحاً أديباً، توفي سنة ٥٢٤هـ/١١٢٩م. (الذهبي، ١٩٩٤م، ج٣٦، ص١٠٦) (الحنبلي، ١٩٨٩م، ج٦، ١١٦-١١٩)

سور الإسكندرية، جنوبي بابها الأخضر. (الضبي، ١٩٨٩م، ج١، ص١٧٩) (ابن بشكوال، ١٩٨٩م، ج٣، ص٨٣٩) (الحموي، ١٩٧٧م، ج٤، ص٣١) (ابن خلكان، د.ت، ج٤، ص٢٦٤) (الحنبلي، ١٩٨٩م، ج٦، ص١٠٤)

ثانياً: التعريف بكتاب سراج الملوك:

يعدّ كتاب "سراج الملوك"، من الكتب المهمة في فن السياسة والحكم، ويراعي القواعد والواجبات على طرفي الحكم الراعي والرعية، وقد جمع فيه من قصص الأنبياء وسيرهم، وآثار السلف الصالح، ومن حكم الحكماء ومواعظ العلماء، ونواد الخلفاء والسلاطين، وقام بترتيبه وتفصيل فصوله وأبوابه، ويذكر أن نتاج عمله في هذا الكتاب يُغني الحكيم عن مناقشة الحكماء، ويستغني به الملك عن مشاورة الوزراء. (حاجي خليفة، ١٩٤١م، ج٢، ص٩٨٤)

يذكر شوقي ضيف محقق كتاب سراج الملوك أن الدافع وراء كتابة الطرطوشي لكتابه هو طغيان الوزير الأفضل بدر الدين الجمالي، والذي سلف ذكر ما حدث بينه وبين الطرطوشي، وأن الكتاب جاء باعثاً لوعظ الملوك والحكام، وما ينبغي أن يأخذوا به من العدل الذي لا تصلح حياة الرعية بدونه، والسياسة الرشيدة التي لا تستقيم حياتها بدونها، سواء في تدبير أمور الملك ونظامه، والقواعد المتينة في تدوين الدواوين، ومعاملة الجند، وفرض الأرزاق، وسيرة الولاة والعمال، وجباية الخراج والأموال، أو فيما يصادف السلطان من الاضطراب، ومن الظلم وموقف الرعية منه سوء عاقبته، أو في الحروب ومكايدها وحسن تدبيرها، أو في صلاح السلطان بالعلم والعقل، والأخلاق التي تستقيم بها دنيا الإنسان وآخرته. (أبو بكر الطرطوشي، ١٩٩٤م، ص٦)

احتوى الكتاب على أربع وستين باباً، وبعد معاينة الكتاب والاطلاع على عناوين أبوابه ومحتواه، تبيّن أن الكتاب يحوي أخبار بعض الأمم الماضية، التي وظفها الطرطوشي في خدمة تقديم رؤيته، والجدير بالذكر أن رؤيته الإصلاحية لم تقتصر فقط على المجال

الاقتصادي، بل تنوعت بين الإصلاح السياسي والحربي والقضائي، وقد تناولت بعض الدراسات الحديثة جانب الإصلاح السياسي والحربي لدى الطرطوشي (ربوح، ٢٠١٨م، ص١٥٣) (العبيدي، ٢٠٢٤م، ص٣١٣)، وتفرّد الباحث كأول دراسة للجانب الاقتصادي في كتاب سراج الملوك.

كما تضمن الكتاب أخبار بعض الملوك في أنحاء المعمورة، وخاصة ملوك الطوائف في الأندلس، وهنا يمكن القول أن المؤلف وظّف سياسة هؤلاء الملوك في قيادة ممالكهم ضمن رؤيته السياسية، فاستشهد بالصالح منهم، ومدح بأعماله، وحثّ على السير في خطاه، وجعل الطالح منهم عبرة تاريخية لمن يأتي بعدهم (أبو بكر الطرطوشي، ١٩٩٤م، ص٢٣٩-٢٤٢، ٢٤٩-٢٥١).

جمع الطرطوشي من الحكم والمواعظ والنوادر من مختلف المشارب كالعرب والروم والفرس وغيرهم، فيُلاحظ أنه ذكر بعض الأنبياء وقصصهم والموعظة منها، ووظفها في مكانها المناسب، ومن أقوال الخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين، وحكام الأندلس، وأعمالهم، والعبرة في ما كانت عليه سياستهم في إدارة المُلك بمجالاته المختلفة، وحوى كتابه أيضاً على ما دوّنه المؤرخين وعلماء الأمة من الوصايا والوعظ، مثل ما كتبه الجاحظ وابن قتيبة الدينوري، وابن عبد ربه، وعلى الطرائف والنوادر من أخبار الخلفاء وخاصة أبو جعفر المنصور والرشيد والمأمون، حتى أنه يضمّن بعض ما احتوته كتب الفرس والهند، مثل كتاب كليلة ودمنة، والتاج، وسيرة البعض منهم مثل برزجمهر، وللفلاسفة أيضاً نصيب في الكتاب، أمثال أفلاطون وأرسطاليس، حيث انتقى من أقوالهم حكماً وأمثالاً وظفها في سبيل إيصال فكره، كما ضمّنه الكثير من تجاربه الشخصية والحوادث التي جرت معه، وأضاف آراءه القيمة (أبو بكر الطرطوشي، ١٩٩٤م، ص٧)، وهذا يدل على اطلاعه الواسع ومعرفته الواسعة لعلوم مختلفة مثل الفقه والتاريخ والأدب.

نهج الطرطوشـي في كتابه منهج الابتداء في بداية كل باب من أبواب كتابه بإيراد أهم السمات الواجب توفرها في صاحب الوظيفة أو المنصب الذي يريد التحدث عنه، ثم يورد الأمثال والقصـص التي تدعم رؤيته في أقواله، وقد يورد من آيات القرآن الكريم، الذي هو بحر العلوم، وينبوع الحكم، ومعدن السـياسـات، أو الحديث النبوي الشـريف، أو قصـص الأنبياء، وسـير الخلفاء والصـالحين، والملوك والوزراء ما يُطابق قوله، ويصـوّر بأسـلوب قصـصـي تاريخي التدابير الحكيمة في السياسـة، والحرب، والعمران، والعلم، وشـمل كتابه موضوعات عن الاقتصاد، وهو موضوع البحث.

ومن ناحية أخرى كانت لغة الكتاب واضـحة ومفهومة، يكثر في بناءها التشـبيهات، وهي كعادة مصادر التاريخ العربي الإسلامي، موسوعية المحتوى، ذات لغة متينة رصينة، تناسب أغلب فئات القرّاء.

ثالثاً: الفكر الإصلاحي الاقتصادي عند الطرطوشي من خلال كتابه سراج الملوك:

يشـير عنوان الكتاب "سـراج الملوك" إلى التفكير في مدلولاته، إذ إن كلمة سـراج تدل على التنوير وإضـاءة الطريق، بل إن دلالته هنا مخصـوصـة في إضـاءة الطريق للملوك والأمراء، وأهل الرئاسـة وأولي الأمر في جلّ أمرهم على اختلاف وظائفهم، ولا بد من التخصـيص في هذا الموضـع أن الباحث خصـص دراسـة الجانب الاقتصـادي من الفكر الإصـلاحي لدى المؤلف في هذا البحث، وعليه فإن كتاب سراج الملوك الذي يحتوي على أربع وستين باباً، يختلف موضـوع كل باب منها كما سلف ذكره، إلا أنه أفرد أربعة أبواب خاصة بالاقتصاد، وبموضوعات محددة، هي الأبواب الآتية:

الباب السـابع والأربعون: في سـيرة السـلطان في جباية الخراج. (أبو بكر الطرطوشـي، ١٩٩٤م، ص٤٩٥)

الباب الثامن والأربعون: في سـيرة السـلطان في بيت المال. (أبو بكر الطرطوشـي، ١٩٩٤م، ص٥٠٠)

الباب التاسع والأربعون: في سيرة السلطان في الإنفاق من بيت المال، وسيرة العمال. (أبو بكر الطرطوشي، ١٩٩٤م، ص٥٢٠)

الباب الخمسون: في سيرة السلطان في تدوين الدواوين، وفرض الأرزاق وسيرة العمال. (أبو بكر الطرطوشي، ١٩٩٤م، ص٥٣٣)

يُلاحظ من خلال عناوين هذه الأبواب تركيز المؤلف في فكره الإصلاحي الاقتصادي على ركيزتين رئيسيتين، يمثلان طرفي الإصلاح الاقتصادي، أولهما هرم السلطة أياً كان، سواء السلطان أو الحاكم أو الأمير أو حتى الجهاز الإداري المكلّف بالاهتمام بالأمور الاقتصادية، والثاني هو الموضوع الاقتصادي الأكثر أهمية فيما يخصُّ الطرطوشي، ولذلك يمكن القول أن الركيزة الأولى تبقى ثابتة، مع تعدد الموضوعات الاقتصادية، ومن ذلك إيراده سيرة السلطان وجباية الخراج، أو سيرة السلطان وبيت المال، وسيتم دراسة كل من الأبواب الأربعة على حدا على النحو الآتي:

١. في سيرة السلطان في جباية الخراج:

يتجلى الفكر الإصلاحي الاقتصادي لدى الطرطوشي في مستهل الباب السابع والأربعون، بالتنبيه إلى أن زوال المُلك والسلطة يبدأ بعدوان الحاكم على الرعية، وبالإشارة إلى أن القوة الاقتصادية التي تنشأ عن المال وكثرته، هي السبب في الإصلاح الاقتصادي، وذلك باستثمار هذا العنصر –المال– بعمارة الأرض، وتنميته بقطاعات الاقتصاد الثلاثة الزراعة والتجارة والصناعة، ويقرن عمارة الأرض بقوة السلطان، أي أنها مادة السلطة، وعمادها الأول، فبالمال يجنّد الجند، ويقصد هنا رواتب الجند والعسكر، وبذلك يرهب العدو، (أبو بكر الطرطوشي، ١٩٩٤م، ص٤٩٥)، وعليه فإن الطرطوشي يرى أن المال يمثل قوة السلطان، وهو بهذا يربط القوة الاقتصادية بالقوة السياسية للدول، وفي الحقيقة فالمال في المجتمع المسلم يشكل ركيزة أساسية على الصعيد الفردي لحفظ

المرء لدينه وعرضه وأرضه، فإذا ما وضع في ميزان أكبر وهو الدولة، فإنه حماية لكيانها واستمرار لوجودها، وقد أشار الطرطوشي إلى أن المال مادة المُلك وذخيرته التي إذا أصابتها النوائب، استعانت به على قضاء حاجتها، ودفعت به لتمكين وجودها. (أبو بكر الخلال، ٢٠٢٢م، ص٢٧،٣٠،٣٩) (أبو بكر الطرطوشي، ١٩٩٤م، ص٤٩٥)

برؤية المؤلف أن المال وسيلة في عمارة الأرض، فإنّه لا يغفل عن إقرانه بالعامل البشري المتمثل بالرعية، وبغض النظر عن أهمية عامل التنظيم، الذي لم يتطرق إليه، فإنه يرى في هذا العامل مادة الدول وأساس وجودها، والقائم الفعلي بعمارة الأرض بفكره وجهده، فلا يمكن تواجد الناس في دولة ما دون وجود مقومات لهذا الوجود، ويرى أنه ينتج عن التلاقح بين العامل البشري وعمارة الأرض عنصري الأمن والعدل، وهما من أهم سمات الدول المستقرة (أبو بكر الطرطوشي، ١٩٩٤م، ص٤٩٥).

يشير الطرطوشي إلى أهمية المال وربطه بالعدّة والعدد في حالة الدفاع عن المملكة، وأنه ضرورة من ضرورات الإنفاق على مؤن الحروب واستجلاب الجنود وإنفاق رواتبهم، وشراء الأسلحة، وهذه بمجملها العوامل الرئيسة التي تحرك الجيوش للدفاع عن الدول. (أبو بكر الطرطوشي، ١٩٩٤م، ص٤٩٥)

إن ما سلف ذكره عن المال وأهميته، وحرص المؤلف على ذكره في استهلال حديثه عن السلطان وسيرته في جباية الخراج، إنما يفضي إلى الدخول في صلب النصيحة التي بصدد أن يقدمها، ولكن لا بد هنا من التوضيح أن هذا المال هو المال المستجبى من الخراج، ولا بدّ أن يكون هذا المال في هذا النوع من الإيرادات حلالاً ومأخوذا بحقه، وليس قهراً أو ظلماً، وعلى ذلك فإنّه من الضروري أن يُنفق في حقه أيضاً، حتى تتكامل نصيحته على الوجهين اللذين أراد تقديمهما، الأول: الأخذ بالحق، والثاني: الإنفاق في الحق، وليس في وجوه السرف والتبذير، وإنما في إصلاح معاش الرعية، والحرص على نفعها (أبو بكر الطرطوشي، ١٩٩٤م، ص٤٩٥)، ويُلاحظ أنه يشير إلى وضع هذا المال

في الإنفاق المخصص له في أمور الإصلاح الاقتصادي، وهي عمارة الأرض، والإنفاق على المشاريع التي تعود بالنفع على الرعية (أبو بكر الطرطوشي، ١٩٩٤م، ص٤٩٥)، وبما أن موضوع هذا الباب اقتصادي يخصُّ الخراج، فيمكن أن تكون على سبيل المثال مشاريع الري، واستصلاح الأراضي، واتباع سياسة اقتصادية منصفة للفلاحين والمزارعين.

يتعلق الجانب الآخر من نصيحة الطرطوشي في كيفية إدارة العنصر البشري القائم على استجباء الأموال من الرعية، وذلك بتقديم التعليمات والإرشادات اللازمة في سير عملية الجباية، وهو ما يمثل الجانب الأخلاقي من هذه العملية، ومن ذلك حرصه على أن يتصرف عامل الجباية بالرفق، وأن يتجنب خرق القوانين الموضوعة في عملية الجباية، وعدم ارتكاب الحماقات (أبو بكر الطرطوشي، ١٩٩٤م، ص٤٩٦)، ويمكن القول في هذه النقطة أن الهيكل الذي تُبنى عليه عملية جباية الخراج هو هيكل متعدد، يعدُّ عامل الجباية أصغر حلقة فيه، فإذا فسدت الحلقة الصغرى والتي هي على احتكاك مباشر مع من تجب عليه الجباية، فإنها تلحق الفساد ببقية الحلقات (أبو بكر الطرطوشي، ١٩٩٤م، ص٤٩٦)، وهو بذلك يحذّر من خطورة إهمال انتقاء عمّال الخراج، وسلبيات التعسف في جبايته، والحقيقة أن التهاون في هذه المسألة يجلب الوبال على الحالة الاقتصادية لأي دولة في أي عصر، ويهدد وجودها، ولا ينفع في هذه الحال كثرة الأموال إذا ما انتشر الظلم، وقد أورد الأمثلة الداعمة لآرائه وأفكاره في هذا الجانب، ومن ذلك ما ذكره جعفر بن يحيى[١]، أن الخراج هو قوام المُلك، الذي لا يستقيم إلا به، وأنَّ كثرته لا تأتي إلّا بالعدل، وأن قلّته مقرونة بالظلم، الذي يسرّع في خراب البلاد وتعطيل النشاطات الاقتصادية المتنوعة (أبو بكر الطرطوشي، ١٩٩٤م، ص٤٩٦).

[١] جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي، ولد في بغداد سنة ١٥٠هـ/٧٦٧م، وزر للخليفة العباسي هارون الرشيد، وتسلم له مقاليد الأمور كلها، حتى أطاح به الرشيد وبعائلته وقتله سنة ١٧٨هـ/٧٩٤م. (ابن الخطيب البغدادي، ٢٠٠١م، ج٨، ص٣٠) (ابن خلكان، د.ت، ج١، ص٣٢٨-٣٤٦) (الزركلي، ٢٠٠٢م، ج٢٢، ص١٣٠)

حتى أنه يرى في السلطان الذي يحمّل أهل الخراج ما لا يحتملونه كالذي يقطع لحمه ويأكله، ومن أبرز الآثار السلبية التي يتسبب فيها الظلم على أهل الخراج أنهم –المزارعين أو الفلاحين– يعجزوا عن عمارة الأرض والاستمرار في النشاط الزراعي، ما يثبّط العزائم، ويتركون أراضيهم بالهجرة والهروب، فتتعطل الأرض، ويقلّ إيرادات الخراج، الذي بدوره يؤدي إلى ضعف الأجناد، فيطمع الأعداء في المملكة، وهذا هو سبب اختلال الدول التي يضعف اقتصادها وينعكس سلباً على سياستها، ويسرّع من انهيارها. (أبو بكر الطرطوشي، ١٩٩٤م، ص٤٩٦)، ومثال ذلك ما سمعه الطرطوشي على لسان شيوخ بلاد الأندلس من الجند، حيث ذكروا له أن أمر بلاد الأندلس كانت في منعة من عدوهم لما كانت الأرض عامرة مقطعة للجنود، والأموال وافرة، والأجناد في أهبة واستعداد، إلى آخر أيام ابن أبي عامر[1]، الذي عيّن الجباة، ومنع عطايا الجند، فضعف الرعايا وهربوا، وضعفت عمارة الأرض والأجناد بذلك، وقوي أمر العدو على بلاد المسلمين. (أبو بكر الطرطوشي، ١٩٩٤م، ص٤٩٨).

يُعالج الطرطوشي هذه المشكلة بالحثّ على حسن المعاملة مع المزارعين، ويرى برأيه أنه إذا كانت أمور المزارعين تسير على النهج الذي حدده الاقتصاد الإسلامي بقوانينه ونظمه، فإن ذلك ينعكس على حال الخلفاء والسلاطين بالإيجاب، لأنهم –المزارعين– مادة النشاط الاقتصادي (الزراعة)، وتفعيل هذا النشاط يتضافر فيه عنصرين أساسيين هما: السلطة الحاكمة، من خلال توفير الأمن والرعاية، وتوفير المياه، ووضع أنظمة ضريبية

[1] المنصور بن بي عامر: محمد بن عبد الله بن محمد بن أبي عامر المعافري، نشأ في بيت علم ودين، طلب العلم في قرطبة فنبغ فيه وأصبح شاعراً بليغاً، وقد كان ذكياً طموحاً قوي العزم، اتّخذ دكاناً يكتب فيه العرائض، واشتهر ببلاغته وفصاحته، استطاع أن يدخل بهما إلى بلاط الحكم الأموي في الأندلس، أُعجب به الخليفة الأموي الحكم المستنصر، وولّاه القضاء والحسبة وإدارة الشرطة دار السكة، استولى على الحكم بعد وفاة الخليفة الحكم، غزا الممالك الإسبانية ٥٣ غزوة ولم يخسر بواحدة منها، توفي سنة ٣٩٣هـ/١٠٠٢م. (ابن عذاري، ١٩٩٨م، ج٢، ص٢٩٧،٢٩٨) (المقرّي، ١٩٨٨م، ج١، ص٥٩٥)

عادلة، وغيرها من مستلزمات الزراعة، والعنصر البشري العامل على الأرض الزراعية (اليد العاملة) من خلال العمل بإخلاص وتفاني (أبو بكر الطرطوشي، ١٩٩٤م، ص٤٩٦).

وينبّه أيضاً بشكل غير مباشر إلى خطورة الإقطاع العسكري وأثره السلبي على المملكة، وكما هو معروف أن عقد الاقطاع العسكري يشمل تأمين المُقطِع لعدد من الجنود وتوفير الأسلحة والمؤن لهم، وأن يكونوا على استعداد متى ما طُلب من المُقطع، فإذا اختل أحد بنود العقد، كانت للمُقطَع حجة الفسخ وترك الأرض، ويبدو أن الظلم والجور من أبرز ما تعرّض له الجنود المُقطَعين في الأندلس، مما دفعهم للهروب.

يدعو الطرطوشي السلطان إلى إدراك أن كل ما في يد رعيته من المال هو مدعاة للرضا والقناعة، وهو من مؤشرات حسن الحكم ونجاح السياسة فيهم، وأن الإنفاق في الإصلاح الاقتصادي لا يقلل من الثروة أو الهيبة، بل على العكس، فإنه يؤدي إلى التنمية والازدهار، ومع الحيطة والحذر من الوقوع في الإسراف والتبذير (أبو بكر الطرطوشي، ١٩٩٤م، ص٤٩٧).

٢. في سيرة السلطان في بيت المال:

يعد بيت المال من أهم المنشآت الاقتصادية في العصور العربية الإسلامية، إذ إنّه يختزن الواردات من جبايات الدولة، ويخرج منه في وجوه الإنفاق المتعددة، ويشير الطرطوشي إلى أهميته بإفراده باباً خاصاً في سيرة السلطان في بيت المال، ويتبين من خلال تقديمه أن أولي الأمر الذين ساروا في سياستهم في بيت المال على نوعين، **الأول:** استأثر بالأموال وحبسها عن الرعية، وتعدّها للنوائب والمصائب، ومن أمثالهم ملوك الهند والصين والسند وبعض ملوك الطوائف والروم، **والثاني:** أغدق وأنفق على رعيته، إلى أن أصبحت الرعية الحامية الحقيقية للمُلك، ومن أمثالهم الأنبياء والمرسلين والخلفاء الراشدين،

حيث كانت الأموال المُجباة تُقسم من يومها، ومن كان غائباً وحضر يُقسم له، وتُفرّق جميع الأموال حتى لا يبقى منها درهم. (أبو بكر الطرطوشي، ١٩٩٤م، ص٥٠٠)

يسوق الطرطوشي بعض الأمثلة عن حسن سياسة ولي الأمر في بيت المال، ولا خلاف أن يكون الرسول أول وأفضل من يُضرب به المثل، فلمّا فتح الله عليه بلاد اليمن، كانت تُجبى إليه الأموال فيوزعها في يومها. (أبو بكر الطرطوشي، ١٩٩٤م، ص٥٠١).

ويتطرق إلى أن أحد أهم الجوانب الإصلاحية الاقتصادية في تحديد اليد العليا في التّصرف ببيت المال، ويرى أنه يعود إلى اجتهاد الإمام، وأنّه للغني والفقير، ولكن لا يجب أن يساوى فيه جميع المسلمين، وفي هذا دعوة أن يكون الخليفة أو وليّ الأمر عادلاً، وحريصاً على تحديد الشريحة المستحقة، ويتمثل تحديده لمستحقي الإنفاق من بيت المال في وجهين، **الأول:** أن بيت المال مخصص للإنفاق على الفقراء والمساكين والمحتاجين، وأن يحرص وليّ الأمر على أن يصل المال لمستحقيه بلا منّة ولا تفضيل، وهو أمر إلهي لا بدّ من الالتزام فيه ضمن مبادئ الشريعة الإسلامية، والوجه **الثاني:** يتجسد في إمكانية أخذ الأغنياء من بيت المال، ويبدو من السماح لهم بذلك مشروطاً بالنفع العام، أو هو أشبه بالتمويل للمشاريع ذات النفع العام، وتدلّ الأمثلة التي أوردها أيضاً أن مال الفيء يحق للغني والفقير، أي أن نوع المال الوارد يشغل دوراً في أحقية من يستحقه من الأغنياء (أبو بكر الطرطوشي، ١٩٩٤م، ص٥٠٦).

يعد بيت المال في فكر الطرطوشي من ألدّ الأعداء للملوك، فهو مُهلِك سلطانهم، والواضح من كلامه أنه يقصد في حالة سوء إدارته، في حين أنه يرى في الجند المخلصين أفضل من بيت المال المليء، ويقدم نصيحته باستكثارهم لأنهم الذخيرة في حالة السلم والحرب، والبحبوحة والضيق، وبهذا يربط ضرورة الاعتدال في الأمرين: بيت المال والجند، ففي حالة ضعف أحدهما، فإن الآخر يعمل على تقويته، فعلى سبيل المثال إذا كان بيت

المال خاوٍ بسبب الإنفاق على الجيش والجند، فلا بدّ أن يكون ذلك الجيش قوي ومخلص بسبب أداء الملك لحقوقه وصرف رواتبه وتأمين مؤونته، وعلى النقيض من ذلك، فإذا كان بيت المال مليئاً بسبب الشّح والبخل بالإنفاق على الجيش، فسيكون ذلك الجيش هزيلاً ضعيفاً، لا يقوى على مجابهة الأعداء، ومآل ذلك إلى أن الأعداء يتجرأون على المملكة (أبو بكر الطرطوشي، ١٩٩٤م، ص٥٠٢)، ويحثّ إلى اجتناب جمع الأموال في سبيل التقوي على الأعداء، ويرى أن مآل ذلك اختلال وضعف في الجند لعدم وصول حقوقهم المالية إليهم، ومن قلة أرزاقهم، وعلى هذه النتيجة يطمع الصديق ويتجرأ العدو لما يراه من ضعف في الجند، وكاستنتاج أخير يقول الطرطوشي: "وإذن كان الدفاع في الرجال لا في الأموال، وإنما يُدافع بالأموال بواسطة الرجال، لا شك أن بيت رجال خير من بيت مال". (أبو بكر الطرطوشي، ١٩٩٤م، ص٥٠٢).

يسوق الطرطوشي دلائل من الخلافة الراشدة في سياسة السلطان في بيت المال، فيذكر لما فُتحت العراق جيء بالمال إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فاستأذنوه لإدخال المال إلى بيت المال، فرفض، وأصرَّ على أنه لا يؤوي تحت سقف بيت حتى يتم تقسيمه بين المسلمين، وذلك لأن عمر يرى أن المال ما إن يكثر في قوم إلا ووقع بأسهم بينهم (أبو بكر الطرطوشي، ١٩٩٤م، ص٥٠٥،٥٠٦).

تدل الأمثلة التي ساقها الطرطوشي إلى ضرورة حرص السلطان على عدم جمع الأموال، بل على اصطناع الرجال، ودعوة لأولياء الأمر أن لا يغتروا بكثرة الأموال لديهم، وأن ينفقوا لإعداد الرجال وكسب إخلاصهم ووفائهم على أن يكنزوا الأموال، وعلى هذا يمكن القول أن المال كالسيف له حدّين أو وجهين، أحدهما أن يكون أداة تدمير، والآخر أن يكون أداة تعمير، وهذا يرجع لا محالة إلى شخصية الحاكم، ومدى ورعه من ظلمه.

يضيف الطرطوشي على بابه قصة يوسف عليه السلام، وهي من أبرز القصص التي تشتمل على أبعاد اقتصادية مهمة، منها الإدارة والتخطيط الاقتصادي وإدارة الأزمات،

ونظرة الإسلام إلى المال، والاستهلاك العادل، والأمن الغذائي، حيث أصاب مصر السنين العجاف، فطلب يوسف عليه السلام من ملك مصر أن يكون أميناً على خزائنها، حيث جاء طلبه بقوله تعالى: "قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ" (سورة يوسف، الآية رقم ٦٦)، وكانت الخزائن وقتذاك الأهرامات، فهي مستودع الغلّات، ووصف نفسه بالحفيظ الأمين، أي أنه ذو علم وبصيرة بما سيتولّاه، وهذه إشارة إلى أهمية التخطيط والتنظيم المالي وإقامة التوازن بين الموارد المالية والنفقات، وهنا لا بد من التذكير أن من يجب عليه أن يتولى مثل هذا المنصب أن يتوفّر فيه هذين الشرطين المعرفة والإدراك وأن يكون حفيظاً أميناً، ثم أصبح يوسف عليه السلام عزيز مصر، أي رئيس وزرائها كما هو معروف في العصر الحديث، وكان بيده الحلُّ والعقد، وسار في طريق الإصلاح وتوصيل الحقوق إلى الفقراء، فأصبحت مصر في عهده كثيرة الخير، وكانت تصل الأموال الكثيرة إلى خزائنها، وكانت السياسة المتبعة في هذه الأموال قائمة على أساس التوزيع العادل على الرعية، بحيث أن يوسف عليه السلام عامل رعيته وقومه بالعطف والإحسان إلى الفقراء، ويُنفق عليهم من الخزائن، ولا يرغب ما بأيديهم (أبو بكر الطرطوشي، ١٩٩٤م، ص٥١٠)، وعلّق الطرطوشي على أحد ملوك مصر ولم يذكر اسمه، أنه عامل أهلها معاملة جيدة وأعقب بأن هذا الملك لا يعرف الله ولا يؤمن بيوم الحساب، فكيف بمن يقول لا إله إلّا الله، ويوقن بالحساب والثواب والعقاب، وهذه إشارة إلى أن الإسلام يحمل بما يحمله من القوانين والمبادئ والقيم، ما يمكن اعتباره ركيزة أساسية في المجال الاقتصادي في الجانب الأخلاقي (أبو بكر الطرطوشي، ١٩٩٤م، ص٥١٠).

تتوضح السياسة الاقتصادية التي يدعو إليها الطرطوشي في إيراده لآلية العمل التي اتخذها يوسف عليه السلام في مصر، فقد كان يجمع المال من وجوه الجبايات، ويعمل على خطة توزيع الدخل وتأمينه في المجتمع، وخطته كانت على النحو الآتي: (أبو بكر الطرطوشي، ١٩٩٤م، ص٥٠٧،٥٠٨)

١. عمارة البلاد، كحفر قنوات المياه والإنفاق على الجسور وإصلاح السبل.
٢. أرزاق الجنود، وكتّاب الدواوين، وغيرهم من الموظفين.
٣. ما يُفرض للأرامل والأيتام.
٤. ما يوضع في الخزائن لحوادث الزمان ونوائبه.

يدعو الطرطوشي إلى طاعة الله التي ترفع من قدر الإنسان وشأنه، وعلى كل حاكم أو مسؤول عدم وضع نفسه في مركز تأليه كما كان فرعون، ويبدو أن الغاية من هذه الدعوة ترتبط بنصـــحِ وليّ الأمر بالإدبار عن الدنيا وما تقدمه من مغريات كالإكثار من المال، والإقبال على الآخرة بالإنفاق على المحتاجين والفقراء والضعفاء، ويستشهد بموقف زُليخة عندما رأت يوسف عليه السلام بعد أن ذهبت قواها وتلف مالها وفني عمرها وعمي بصرها مدة طويلة من الزمن، وهي تتعجب من قدرة الله في قلب الموازين وتغيير المكانة بين الناس، في حين كان يوسف عبداً تم شراؤه في مصر، فأعزّه الله بالنبوة والمكانة العظيمة بطاعته، وكانت زُليخة ملكة في بلاط مصر فأذلّها الله بمعصيتها، وعلى الرغم من ذلك فقد عاملها يوسف عليه السلام بأحسن ما يُعامل به الأنبياء أقوامهم، وتزوجها وأنجب منها (أبو بكر الطرطوشي، ١٩٩٤م، ص٥١٢،٥١٣).

إن العبرة الإصلاحية الاقتصادية المستقاة مما أورده الطرطوشي، تعبّر عن أهمية الجانب الأخلاقي في المعاملة الاقتصادية، ففي حين ينقسم الناس في عصره إلى أغنياء وفقراء، أقوياء وضعفاء، أسياد وعبيد، يوضّح العلاقة التي قد تربط بين كل متناقصين مما سلف ذكره، فعلى القوي على سبيل المثال أن لا ينسى الضعيف، وأن يرحم ضعفه، وعلى الغني أن يتصـــدّق على الفقير، وعلى الســـيد أن يُنفق على عبده، فلا يُعرف متى تتغير أقدار الله، فربَّ مطلوب يصير طالباً، وعبداً يصير سيداً، ومسؤول يصير سائلاً (أبو بكر الطرطوشـــي، ١٩٩٤م، ص٥١٢،٥١٣)، وقد كان عليه الســـلام رغم كل ما بين يديه من الأموال يجوع ويأكل خبز الشعير ولا يشبع، حتى قيل له أتجوع وبيدك خزائن الأرض؟؟؟

فيقول: أخاف أن أشبع فأنسى الجائعين. (أبو بكر الطرطوشي، ١٩٩٤م، ص٥١٣)، وهذه دعوة للاقتداء بأفعال الأنبياء، والسير على نهجهم.

الجدير بالذكر في هذه العبرة أن الإسلام يتفرّد في إدراج الجانب الأخلاقي في المعاملات الاقتصادية، على العكس من الاقتصاد الوضعي المعروف في العصر الحديث، بحيث أنه لا يعدُّ للجانب الأخلاقي أهمية، إنما الأساس فيه هو حجم الأرباح فقط، بغض النظر عن الآثار السلبية التي قد تحصل لأحد طرفي المعاملة الاقتصادية، سواء أكانوا أفراداً أو مجموعات، أو شركات.

يُنهي الطرطوشي باب سيرة السلطان في بيت المال بالحديث عن مناقب الوزير السلجوقي نظام الملك، وعدّه ممن يُحتذى بهم في الإنفاق في المواضع الصحيحة، وما يهم في حديثه هو الجانب الإصلاحي الذي أشار إليه في شخصية نظام الملك وأعماله، فمنها أنه قام بدولة السلاجقة أحسن قيام، واستمال الأعداء ووالى الأولياء، ويُرجع الطرطوشي السبب في ذلك كله أن نظام الملك أقبل على مراعاة طلاب العلم وحَمَلة الدين، وأسس المدارس وأغدق على العلماء، حتى لامه السلطان ملكشاه على كثرة الإنفاق، فأجابه الوزير أنه كما للدولة جيش من الجنود والسلاح، يفتحون البلاد، لا بدّ لها من جيش العلماء والصالحين يفتحون أبواب السموات بالدعاء، ويقدم الطرطوشي رؤيته الإصلاحية من خلال الإشارة إلى الجانب الديني الذي أفرد له أهمية بالغة، وساق له الأمثلة والشواهد، وشدد على أن المنافسة تكون في هذا المجال أجدر من غيره، ففيها يكسب المرء العزة والذكر الحسن في الدنيا، والشرف في الآخرة، وحثَّ على انتهاز مثل هذه الفرص التي تخلّد اسم السلطان في الذكر بين الناس، وفي صفحات التاريخ، وأنه خير الادخار للآخرة (أبو بكر الطرطوشي، ١٩٩٤م، ص٥١٨).

٣. في سيرة السلطان في الإنفاق من بيت المال، وسيرة العمال:

يُفرد الطرطوشي باباً لسيرة السلطان في الإنفاق من بيت المال وسيرة العمال، والواضح من خلال هذا الباب أنَّ جلّ كلامه عن سير العمال، إذ أن سيرة السلطان في بيت المال قد سلف الحديث عنها في الباب السالف، ويهدف من تخصيصه لهذا الباب استخلاص العبر والفائدة والموعظة من آثار السلف الصالح وسيرتهم في الوظائف الموكلة إليهم من باب الورع والزهد والتقشف في الدنيا، والتزوّد بالأعمال الصالحة للآخرة، أكثر من إيراده الحكم والأمثال والأقوال المأخوذة من أفواه الحكماء، فيُلاحظ ضربه للأمثال المثل تلو الآخر دون تعليق أو تعقيب، وحصر هذه السير في حقبة الخلافة الراشدة لما لها من صبغة الرّشد والتمكين في الأمور السلطانية وحسن التدبير.

تطرق الطرطوشي عن الإنفاق من بيت المال، وذلك بحديثه عن سيرة أبو بكر الصدّيق في إنفاقه على نفسه وعياله عندما تولى الخلافة، إذ أنه رفض في البداية أن يُنفق من بيت المال، ثم اقتنع من الصحابة على أساس التّفرغ للنظر في أمور المسلمين، وأن يُفرض له بالمعروف لا زيادة ولا نقصان، ولكن عند دنو أجله طلب من ابناءه حساب ما أنفقه من بيت المال ووصى أن تُرد من إليه (أبو بكر الطرطوشي، ١٩٩٤م، ص٥٢٠،٥٢١).

وقد سار الخلفاء الراشدين من بعده على نفس النهج، حيث أنزل عمر بن الخطاب نفسه منزل وليَّ اليتيم، إذا احتاج من بيت المال أخذَ منه، وإذا توفر المال لديه ردَّه إلى بيت المال، وخصص لنفسه لباس في الصيف ولباس للشتاء، وما يركبه في موسم الحج، وقوته وقوت عياله، كقوت رجل من قريش لا من أغنيائهم ولا من فقرائهم. (أبو بكر الطرطوشي، ١٩٩٤م، ،ص٥٢٣)، وكان علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه يلبس إزاران مرقعان بخرق، فقيل له: كل من خيرِ الطعام وألبس، واركب، فإنَّك ميت أو مقتول، فكان ردّه رضي الله عنه أن في هذا خير له في الصلاة، وأصلح للقلب، وهو أقرب بسنة السلف الصالحين

الذين سبقوه، والأجدر بالاقتداء من الخلف اللاحقين (أبو بكر الطرطوشي، ١٩٩٤م، ص٥٢٧).

يذكر الطرطوشي من سير العمال في عهد عمر بن الخطاب غير واحد منهم، ويمكن ذكر بعض الأمثلة على النحو الآتي:

أ- تقشف أبو عبيدة بن الجراح في الشام عندما كان أميرها، وخلو بيته من أي مظهر من مظاهر الغنى والترف، واكتفاءه بكساء من الصوف، وآنيتي ماء وطعام، عد ذلك فإنه لا يجعل في بيته مالاً لا صباحاً ولا مساءاً، بل يوزّعه من وقته على الفقراء والمحتاجين (أبو بكر الطرطوشي، ١٩٩٤م، ص٥٢٥،٥٢٦).

ب- كان سعيد بن عامر[١] أمير حمص عندما زارها عمر بن الخطاب، الذي أوصى بأن يكتبوا له بأسماء فقراءها، فكان من بينهم سعيد بن عامر، فتسائل عمر: كيف يكون أميركم فقيراً؟ فقيل له أنه لا يجعل لنفسه من المال شيئاً، فبعث إليه عمر بألف دينار يستعين بها على حاجته، فما كان منه إلّا أن ووزعها في سبيل الجهاد (أبو بكر الطرطوشي، ١٩٩٤م، ص٥٢٩).

ج- كان عمير بن سعد[٢] ممن استعمله عمر بن الخطاب على حمص، فلما مضت سنة على تعيينه عليها، أرسل عمر في طلبه، فجاءه حافياً وبيده عكازته، وحوائجه على ظهره، فاستغرب عمر من حاله وسأله عن السبب، فأجاب عمير: "جئتكَ بالدُّنيا أجرُّها بقرابها"، والقراب أشبه بالكيس الجلدي يوضع فيه المسافر أدواته (أبو بكر

[١] سعيد ين عامر بن حذيم الجمحي القرشي، من صحابة رسول الله ﷺ، ومن الولاة، أسلم وهاجر إلىا لمدينة، وشهد فتح خيبر وما تلاها من المشاهد، ولّاه عمر بن الخطاب إمرة حمص بعد فتح الشام، وكان معروفاً بالزهد توفي في الشام سنة ٢٠هـ/٦٤٠م. الأعلام، ج٣، ص٩٧؛ حلية الأولياء، ج١، ص٢٤٤-٢٤٧؛ (ابن الأثير، د.ت، ج٢، ص٤٨٣) (الزركلي، ٢٠٠٢م، ج٣، ص٩٧)

[٢] عمير بن سعد بن شُهيد بن عمرو بن زيد بن أمية الأوسي الأنصاري، من فضلاء الصحابة وزهادهم، شهد فتوح الشام، واستعمله عمر على حمص، توفي عمير في أيام عمر بن الخطاب، وقيل عاش حتى شهد خلافة معاوية بن أبي سفيان نحو سنة ٤٥هـ/٦٦٤٥م. (ابن الأثير، د.ت، ج٤، ص٢٨٠) (الزركلي، ٢٠٠٢م، ج٥، ص٨٨)

الطرطوشـــي، ١٩٩٤م، ص٥٣٠)، فالدنيا عنده لا تتعدى كونها إناء ماء، ووعاء طعام، وعكازة يتوكأ عليها، وعلى الرغم من ذلك فهو يعدُّ نفســه من الأغنياء بما كفاه الله شـر عن سوى حاجته، وسـأله عن إمارته في حمص، فأجاب أنه أخذ الخراج من أهل الخراج، والجزية من أهل الجزية، ثم قسـمها بين الفقراء والمسـاكين وابن السـبيل (أبو بكر الطرطوشي، ١٩٩٤م، ص٥٣٠).

أشـار الطرطوشـي إلى نقطة مهمة في معرض حديثه عن السـلف الصـالح، وهي أن عمر بن الخطاب كان يبعث رجالاً إلى عمّاله يقيمون عندهم كضـــيوف، يســـتطلعون أخبارهم وسـيرتهم في معاملة الرعية، لمعرفة نهجهم ما إذا كان صـالحاً وموافقاً للشـريعة الإسـلامية وأحكامها، وكان يرسـل إليهم الأموال لقضـاء حاجاتهم فيرى ما يصـنعون بها، وهذه دعوة إلى أولياء الأمر أن يراعوا في انتقاء عمّالهم، ويحرصـــوا على أن يكونوا ذوي علم وخلق ودين حتى يتســـنّى لهم القيـام بـأعمـالهم على أكمـل وجـه، ويؤدوا الحقوق لأصـحابها، ويذكر الطرطوشـي من ذلك أن عمر بن الخطاب أرسـل رجلاً إلى عمير بن ســـعد، وإلى أبو عبيدة بن الجراح، وإلى معاذ بن جبل، فما كان منهم إلا أن يقوموا بالتصـدّق بما أرسـله عمر إليهم على الفقراء والمسـاكين (أبو بكر الطرطوشـي، ١٩٩٤م، ص٥٣١،٥٣٢)، ولهذا كانت الخلافة الراشدة ورجالها خير ما يُضرب به المثل على كافة الأصعدة وليس فقط في الاقتصاد.

يمكن القول أن الأمثلة التي أوردها المؤلف، وبمقارنتها ما ورد بين صـــفحات التاريخ وكتب الشـــريعة الإســـلامية، تفضـــي إلى اعتماد آلية فاعلة في انتقاء عمال بيت المال، ووضـــع الشـــروط التي يجب توفرها في العامل، ويمكن إيرادها اســـتقاءً من الأمثلة التي أوردها الطرطوشي في كتابه على الشكل الآتي:

أ- العدالة والأمانة والصّلاح.

ب- الفقه في الدين، والزهد في الحياة.

ج- المعرفة في أمور الأموال، جيدها من رديئها.

د- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإحقاق الحق. (أبو يوسف، د.ت، ص١٢٠) (الطوسي، ١٩٨٦م، ص٩٩)

٤. في سيرة السلطان في تدوين الدواوين، وفرض الأرزاق وسيرة العمال.

يعدّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه حسب الروايات التاريخية أول من اتخذ الدواوين وعمل على تنظيم ديوان لبيت المال، وأرسى قواعده، فانتظمت بذلك جباية الأموال وعمليات الانفاق، وفرض الأرزاق حسب معيار أهل السابقة في الإسلام، ثم الذين جاؤوا بعدهم، حتى شملت الأعطيات العامة، والأطفال، وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه قبل ذلك يساوي بين الناس جميعهم، وكان يرى أن الناس عملوا بإسلامهم، والله يؤجرهم على أعمالهم في الدنيا، أمّا بالنسبة للمال، فكان يراه أنّه مادة دنيوية، وقد يكسبه المؤمن والكافر، البرّ والفاجر، ولا يمكن أن يكون أجراً لأعمال المسلم التي يبتغي بها الآخرة (ابن الأثير، ١٩٩٧م، ج٢، ص٣٣١) (أبو بكر الطرطوشي، ١٩٩٤م، ص٥٣٣).

ويبدو أن الطرطوشي انتقى من أمثلته من عصر عمر بن الخطاب، حيث شهد عصره نقلة حضارية كبيرة تجسدت بعناية الخليفة بالنظام الإداري الذي شمل الدواوين والأرزاق، ومن أمثلته أنه قدّر الأرزاق في ولاية عمّار بن ياسر[١] على الكوفة، وأرسل إلى العراق غير واحد من الصحابة مثل عثمان بن حنيف[٢] وأجرى عليه العطاء بمبلغ خمسة آلاف

[١] عمار بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس الكناني المذحجي، أبو اليقظان، أحد الصحابة الأجلاء والسابقين إلى الإسلام، كان مولى لبني مخزوم، أسلم في دار الأرقم، وعُذِّب عذاباً شديداً، هاجر إلى المدينة وشهد بدر وأحد والخندق وبيعة الرضوان مع رسول الله ، وكان رضي الله عنه من أصحاب الرأي والمشورة، ولّي الكوفة في عهد عمر، ثم عزل عنها، شهد وقعتي الجمل وصفّين مع علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، قُتل في صفّين سنة ٣٧هـ/٦٥٧م وعمره أربع وتسعين سنة. (ابن الأثير، د.ت، ج٤، ص١٢٢-١٢٨) (الزركلي، ٢٠٠٢م، ج٥، ص٣٦)

[٢] عثمان بن حنيف بن وهب الأوسي الأنصاري ، يُكنى بأبي عمرو، شهد أحد والمشاهد بعدها، واستعمله عمر بن الخطاب على سواد العراق، واستعمله علي بن أبي طالب كرم الله وجهه على البصرة، ثم سكن الكوفة بعد وقعة

درهم، وأجرى على عبد الله بن مسعود[١] مائة درهم في كل شهر، وعلى شريح القاضي مائة درهم، وكان عطاء سلمان الفارسي[٢] خمسة آلاف درهم (أبو بكر الطرطوشي، ١٩٩٤م، ص٥٣٤).

وكان عمر رضي الله عنه يرسل لبعض عماله مالاً يقضون به حوائجهم لمعرفته بهم بالزهد والتقشف، فيأبى بعضهم أن يأخذ المال، إلا أن عمراً يصرُّ عليهم، ويستشهد بكلام النبي □ أنه إذا جاء هذا المال على هيئة العطاء من دون أن يعرض الإنسان نفسه عليه فعليه قبوله، فكان العمال يقبلون بهذا، ويأخذون المال، ويتصدقون ببعضه ويقضون حوائج أهلهم ببعضه الآخر (أبو بكر الطرطوشي، ١٩٩٤م، ص٥٤٠)، وهذا يدل على الحرص على متابعة العمال والولاة، وهو عنصر مهم في نجاح العمل الإداري في أي عصر من العصور.

كما حرص الطرطوشي إلى الإشارة إلى عدم الإسراف في الأرزاق والأعطيات، ومن ذلك ذكره موقف عمر بن الخطاب من وفد أبي موسى الأشعريّ عندما قدموا إلى المدينة،

الجمل، وبقي إلى زمن معاوية بن أبي سفيان، توفي سنة ٤١هـ/٦٦١م. (ابن الأثير، د.ت، ج٣، ص٥٧١) (الزركلي، ٢٠٠٢م، ج٤ ص٢٠٥)

[١] عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب مخزوم الهذليّ، كان من السابقين إلى الإسلام، وهو أول من جهر بالقرآن بمكة بعد رسول الله □، هاجر الهجرتين إلى الحبشة والمدينة، وصلى القبلتين، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله □، وشهد بعده اليرموك، وهو الذي قتل أبو جهل، وشهد له رسول الله □ بالجنة، ولّاه عمر الكوفة، توفي بالمدينة سنة ٣٢هـ/٦٥٢م، وكان عمره بضعاً وستين سنة، ودُفن بالبقيع. (ابن الأثير، د.ت، ج٣، ص٣٨١-٣٨٧)، (الزركلي، ٢٠٠٢م، ج٤، ص١٣٧)

[٢] سلمان الفارسي، أبو عبد الله ويُعرف بسلمان الخير، مولى رسول الله □، كان مجوسياً، وانتقل إلى الشام يريد المسيحية، ثم انتقل إلى الموصل يطلب رجل دين مسيحي، ثم انتقل إلى عمورّية يطلب رجل دين مسيحي، فأوصاه ببعث نبي الله محمد □، فجاء المدينة وأسلم رضي الله عنه، وكانت أول مشاهده مع رسول الله □ الخندق، وهو الذي أشار بحفر الخندق لما جاءت الأحزاب، ولم يتخلف بعدها، وآخى رسول الله □ بينه وبين أبي الدرداء، وكان من خيار الصحابة وزهّادهم وفضلائهم، توفي سنة ٣٥هـ/٦٥٥م. (ابن الأثير، د.ت، ج٢، ص٥١٠-٥١٥) (الزركلي، ٢٠٠٢م، ج٣، ص١١١)

فأنزله عمر في منزله، وأطعمهم من طعامه، فلم يكن يعجبهم، وذلك لشظف العيش وخشونته الذي يتخذه عمر في حياته، فطلبوا منه أن يفرض لهم من بيت المال، ففعل، وأوصاهم بالتوسعة على الناس والعيال (أبو بكر الطرطوشي، ١٩٩٤م، ص٥٣٧).

ومن الأمثلة التي ساقها الطرطوشي أن امرأة مات زوجها دخلت على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وهو يعمل في الطين، فسألته أن يفرض لبناتها الثمانية أرزاقاً، ففرض لهن (أبو بكر الطرطوشي، ١٩٩٤م، ص٥٤١).

- **خاتمة:**

يعد الفكر الإصلاحي الاقتصادي الذي جاء به الطرطوشي وساقه ضمن فصول كتابه فريداً من نوعه، إذ إنّه لم يُصرّح بشكل مباشر بالنصيحة التي يقدمها للخليفة أو الملك أو وليّ الأمر بشكل عام، بل يُلاحظ أنه يسوقها ضمن إطار قصصي تاريخي، يشمل العبرة والأحكام والمبادئ الإسلامية، ويدعّمها بالأمثال والحكم التي اقتبسها من حضارات مختلفة.

ينطلق الفكر الإصلاحي لدى المؤلف من خلال ما قدّمه في الحثّ على المنفعة الاقتصادية العامة، وتقديم الرّشد والنّصح لأولياء الأمر، ويُرى إصراره على إيراد الروايات الأكثر داعمة لآلية عمل من الأعمال الإدارية في السلطة، سواء أكانت في بيت المال أو في العمّال أو في فرض الأرزاق، وتوضّح من خلال ذلك أهمية العمل ضمن منظومة الاقتصاد الإسلامي وأثره على الفرد والجماعة.

يمكن القول أن الطرطوشي بتأليفه كتابه "سراج الملوك" بأبوابه الاقتصادية السالفة الذكر، يسجّل وثيقة من وثائق تاريخ العرب والمسلمين في الفكر الإصلاحي الاقتصادي، ومساهمة تُضاف إلى مساهمات العلماء في ترسيخ وتطوير الفكر الاقتصادي العربي الإسلامي، وعلى الرغم من أنّه كان ناقلاً عن السّلف والسّنة، متصرّفاً في منقولاته، وغلب

عليه أنه لم يُبدِ رأيه في كثير من الروايات التي أوردها، إلا أنه كان انتقائياً دقيقاً، يضـــع الروايات المؤكدة في موضوعات محددة ضمن السياق المراد تقديمه.

•المصادر والمراجع:

١. ابن الأثير، علي بن محمد الجزري ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م. (د.ت). *أُسد الغابة في معرفة الصحابة*. ط: د.ط. دار الكتب العلمية: ٧٤٣

٢. ابن الأثير، علي بن محمد الجزري ت٦٣٠هـــــ/١٢٣٢م. (١٩٩٧م). *الكامل في التاريخ*. ط: ١. دار الكتاب العربي: ٤٥٣

٣.ابن بسام الشنتريني، علي بن بسام ت ٥٤٢هـ/١١٤٧م. (١٩٨١م). *الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة*. ط: ١. الدار العربية للكتاب: ٧٤٠

٤.أبو بكر الخلال، أحمد بن محمد ت ٣١١هـــــ/٩٢٣م. (٢٠٢٢م). *الحث على التجارة والصـــناعة والعمل والإنكار على من يدّعي التوكل في ترك العمل والحجة عليهم في ذلك*. ط: ١. ٦٠

٥.أبو بكر الطرطوشي، محمد بن الوليد ت ٥٢٠هـــ/١١٢٦م. (١٩٩٤م). *سراج الملوك*. ط: ١. الدار المصرية اللبنانية: ٩٢٨

٦. ابن بشكوال، خلف بن عبد الملك ت٥٧٨هـ/١١٨٣م. (١٩٨٩م). *الصلة*. ط: ١. دار الكتب المصري. دار الكتاب اللبناني: ٢٤٦

٧.ابن تغردي بردي، يوســف بن تغري بردي ت ٨٧٤هـــــ/١٤٦٩م. (١٩٩٢م). *النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة*. ط: ١، دار الكتب العلمية: ٣٥٢.

٨.ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي ت٥٩٧هـــ/١٢٠٠م. (١٩٩٢م). *المنتظم في تاريخ الملوك والأمم*. دار الكتب العلمية: ٥٠٧.

٩.الحموي، ياقوت بن عبد الله ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م. (١٩٧٧م). معجم *البلدان*. دار صادر: ٥٠١.

١. ابن خلكان، أحمد بن محمد ت٦٨١هـ/١٢٨٢م. (د.ت). *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*. دار صادر: ٤٩٠.

٢. خليفة، حاجي، مصطفى بن عبد الله ت١٠٦٧هـ/١٦٥٧م. (١٩٤١م). *كشف الظنون*. ط: ١. دار إحياء التراث العربي: ٢٠٥٦

٣. الخطيب البغدادي، أحمد بن علي ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م. (٢٠٠١م). *تاريخ مدينة السلام*. دار الغرب الإسلامي: ٧٦٨.

٤.الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م. (١٩٨٤م). *أعلام النبلاء*. ط: ١. مؤسسة الرسالة: ١٧٦٠

٥. الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م. (١٩٩٤م). *تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام*. ط: ١. دار الكتاب العربي: ٤٠٠

٦. ربوح، عبد القادر. (٢٠١٨م). تجربة الإصلاح عند أبي بكر الطرطوشي (ت٥٢٦هـ/١١٣٠م). مجلة دراسات وأبحاث المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية. المجلد١٠. العدد٤: ١٨

٧.الزركلي، محمد خير رمضان. (٢٠٠٢م). *الأعلام*. ط: ١٥، دار العلم للملايين: ٣٥٢.

٨. السبكي، عبد الوهاب بن علي ت٧٧١هـ/١٣٦٩م. (١٩٦٤م). *طبقات الشافعية الكبرى*. ط: ١. مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه: ٦٠٠

٩.السيوطي، عبد الرحمن بن محمد ت٩١١هـ/١٥٠٥م. (٢٠١٠م). *طبقات المفسرين*. دار النوادر: ٦٢٤

١٠. الشيّال، جمال الدين. (٢٠٠١م). *أعلام الإسكندرية في العصر الإسلامي*. ط: ١، مكتبة الثقافة الدينية: ٢٧٢

١١.الصفدي، خليل بن إيبك ت٧٤٦هـ/١٣٤٥م. (٢٠٠٠م). *الوافي بالوفيات*. ط: ١. دار إحياء التراث العربي: ٢٩٦.

١٢.الضبي، أحمد بن يحيى ت٥٩٩هـ/١٢٠٣م. (١٩٨٩م). *بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس*. ط: ١. دار الكتب المصري. دار الكتاب اللبناني: ٧٣٤

١٣.الطوسي، نظام الملك ت٤٨٥هـ/١٠٩٢م. (١٩٨٦م). *سياسة نامة أو سير الملوك*. دار الثقافة–قطر. ط: ٢. ص: ٢٩٨

١٤. العبيدي، هند عبد الحق. (٢٠٢٢م). *الآداب السلطانية في كتاب سراج الملوك للطرطوشي*. المجلة السياسية الدولية. الموسوعة السياسية. العدد٥٢: ٢٨

١٥. ابن عذاري، أحمد بن محمد ت٧١٢هـ/١٣١٢م. (١٩٩٨م). *البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب*. ط: ٥. دار الثقافة: ٥٢٠

١٦. ابن العماد، عبد الحي بن أحمد ت١٠٨٩هـ/١٦٧٨م. (١٩٨٩م). *شذرات الذهب في أخبار من ذهب*. دار ابن كثير: ٦٠٠.

١٧. عنان، محمد عبد الله. (١٩٩٠م). *دولة الإسلام في الأندلس*. ط: ٢. مكتبة الخانجي: ٥٦٦

١٨. القاضي عياض. (١٩٨٣م). *ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك*. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية: ٧٣٣

١٩.ابن فرحون (١٩٧٢م). *الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب*. دار التراث: ٥٦٠

٢٠.المقريزي، أحمد بن علي ت ٨٤٥هـ/١٣١١م. (١٩٩٧م). *المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية*. ط: ١. مكتبة مدبولي: ٨٥٢

٢١. المقري، أحمد بن محمد ت. (١٩٨٨م). *نفح الطيب من غصن الأندلس* الرطيب. ط: ٢. دار صادر: ٧٢٦

٢٢. ابن منظور، محمد بن مكرم ت٧١١هـ/١٣١١م. (١٨٨٢م). *لسان العرب*، دار صادر: ٤٧٢.

٢٣. أبو يعلى الفرّاء، محمد بن أبي يعلى ت٥٢٦هـ/١١٣١م. (١٩٩٩م). *طبقات الحنابلة*. مكتبة الملك فهد الوطنية: ٦٤٣

٢٤. اليافعي، عبد الله بن أسعد ت٧٦٨هـ/١٣٦٧م. (١٩٩٧م). *مرآة الجنان وعبرة اليقظان*. ط: ١. دار الكتب العلمية: ٣٨٢

٢٥. أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم ت ١٨٢هـ/٧٩٨م. (د.ت). الخراج، تح: طه عبد الرؤوف سعد وسعد حسن محمد. المكتبة الأزهرية للتراث: ٢٧٦

دور استباقية وإبداع المرأة العاملة في تحسين واقع الخدمات المقدّمة بالمراكز الصحيّة من وجهة نظر المستفيدين (دراسة ميدانية محافظة اللاذقية)

الدكتورة نسرين طه*

ملخص

إن حاجتنا للتفكير الابداعي والعمل الاستباقي أصبحت ماسّة وضروريّة لتنمية المجتمع، يتناول البحث دراسة دور استباقية وابداع المرأة العاملة في تحسين أداء المؤسسات الصحية، الأمر المؤثر في القدرة على النمو والاستمرار، وذلك في ظل اتساع المؤسسات الصحيّة في أنشطتها وعملياتها لتقديم أفضل الخدمات، ولابد أن دور المرأة أساسي ومحوري، وتكمن أهميّتها بدورها المؤثّر لرفع كفاءة المؤسسات الصحيّة. هدف البحث للتعرف على ابداع واستباقية المرأة العاملة ودورها في تحسين واقع الخدمات الصحيّة المقدمة في المراكز الصحية في محافظة اللاذقية. اعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي، تم توزيع 385 استبانة كما تم استرداد 377 استبانة، وتم رفض 7 استبانات لعدم اكتمال الإجابات، وقد بلغ العدد النهائي الخاضع للتحليل 370، تم استخدام الأساليب الإحصائية المناسبة، للوصول للتوصيات من أهمها: الاهتمام بالتدريب وتطوير المهارات الابداعية وبناء القدرات الاستباقية، التأكيد على دعم الأفكار المتميزة والإبداعية لحل المشكلات.

كلمات مفتاحية: المرأة العاملة، الاستباقية، الإبداع، الخدمات الصحيّة، المراكز الصحيّة.

---

*دكتورة – قسم علم الاجتماع – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة تشرين – اللاذقية – سورية.

Nisreen.taha@tishreen.edu.sy

The role of proactivity and creativity of working women in improving services provided in health centers from the point of view of beneficiaries (a field study in Latakia Governorate)

Dr. Nisreen Taha *

Abstract

The research deals with studying the proactive role and creativity of working women in improving the performance of health institutions, which affects the ability to grow and continue, in light of the expansion of health institutions in their activities and operations to provide the best services, and the role of women must be essential and pivotal, and their importance lies in their influential role to raise the efficiency of health institutions. The aim of the research is to identify the creativity and proactivity of working women and their role in improving the reality of health services provided in health centers in Latakia Governorate. The research adopted the descriptive analytical approach, 385 questionnaires were distributed, 377 questionnaires were recovered, 7 questionnaires were rejected for incomplete answers, and the final number subject to analysis reached 370, appropriate statistical methods were used, to reach recommendations, the most important of which are: Attention to training, developing creative skills and building proactive capabilities, emphasizing support for distinguished and creative ideas to solve problems.

Keywords: working women, proactive, creativity, health services, and health centers.

* PhD - Department of Sociology - Faculty of Arts and Humanities - Tishreen University - Lattakia - Syria. Nisreen.taha@tishreen.edu.sy

المقدمة:

تقوم النظرة المعاصرة لتحسين أداء المؤسسات أياً كانت طبيعتها على فكرة بسيطة مفادها أن هذا الأداء يحّركه العنصر الإنساني الذي يلعب دوراً حيوياً في مستويات الأداء ومّما لا شك فيه أن العالم يشهد في الوقت الحاضر حركة واسعة تدعو إلى تنشيط الاهتمام بالحركة الاستباقية والإبداعية، ولا سّيما في مجال التنمية مع ضرورة الكشف عن المبدعين ومساعدتهم بالطرق والبرامج كافة التي تلبي احتياجاتهم. أما الطبيّعة المزدوجة للصحّة تكمن في كونها وسيلة وغاية للتنمية آنٍ واحدٍ، لأنّ الإنسان هو أساس التنمية وهو حجر الاساس في بناء المجتمع وتقدمه، وتعد تنمية قطاع الخدمات الصحيّة الحكومية سلسلة من العمليّات المخطط لها والتي تسعى لتحقيق الأهداف التي تقود إلى التفاعل والاستغلال الأمثل للطاقات والإمكانات المتاحة. وتُعتبر الموارد البشريّة العنصر الاهمّ للوصول الى تحقيق الأهداف والغايات المرجوّة، فأهميّتها تكمن في دورها المؤثّر في رفع كفاءة المنظمات الصحيّة، وفعاليتها في أداء مهامها وأنشطتها، ومدى قدرتها على التميز ومساهمتها في رفع جودة الخدمة الصحيّة المقدمة. وتأتي أهمية مشاركة المرأة في القوى العاملة تأكيدًا على حقها في المشاركة الفاعلة ولتوسيع خيارات المرأة السورية وقراراتها، وبالتالي تنعكس تأثيراتها الإيجابية على المجتمع بشكل مباشر، وتقلل من الضغط المجتمعي والاقتصادي، وتكمن خطورة قلة نسبة المشاركة ليس في تعطيل العملية التنموية فحسب، بل وفي انتهاك حق المرأة بالعمل، ويمكن القول إنّ المرأة السورية أثبتت قدرتها وإمكانياتها، وقطعت أشواطاً كبيرة على طريق المشاركة والفاعلية في مختلف الميادين، ولكن بحسب المؤشرات والتي تدل على أن مشاركتها لا تزال ضبابية ولا تتناسب مع حجم قدرتها ودورها الذي يحتاج إلى تطوير وتفعيل، ونظراً لأهمية دور المرأة في القطاع الصحي تمّ تسليط الضوء على مساهمتها في قطاع الخدمات الصحيّة ودورها في تلبية الاحتياجات الصحيّة واهمية ابداع واستباقية المرأة العاملة لتحسين واقع الخدمات الصحيّة.

مشكلة البحث واهميته:

إن التنمية الصحيّة من أهم وأصعب قطاعات التنمية التي تتعاون لتحقيقها كافة مكونات المجتمّع، للوصول للغاية النهائية وهي تقليل نسبة الأمراض والوفيات في قطاع التنمية الصحيّة، الامر الذي يستدعي وجود تعاون بين الجهات المسؤولة وكل الجهود المبذولة لتنمية قطاع الصحة، وقد أصبحت المرأة شريكاً حقيقياً للرجل في عملية التنمية، بتواجدها في مواقع العلم والإنتاج والإبداع، والخدمة، وفي مراكز اتخاذ القرار، وذلك على نحو يجعلها حقيقة جديرة بالإكبار والتقدير، ولإشراك كامل الطاقات البشرية القادرة للمساهمة في إنجاز التنمية الشاملة والمستدامة، التي تسعى لتحقيق الأهداف التي تقود إلى التفاعل والاستغلال الأمثل للطاقات والإمكانات، ولعلّ ذلك يدفعنا إلى التأكيد على أهمية الاهتمام بتنمية وتدريب وتحسين الأداء للمرأة، ولا تزال مشكلة تطوير مساهمة المرأة في عملية التنمية قضية رئيسية، ومع أنَّ معالجة الفروق بين الجنسين في معدلات المشاركة في قوة العمل مازالت شاغلاً رئيسياً فإن الأهم من ذلك هو التركيز على نوعية الوظائف المتاحة للنساء، وتأتي أهمية مشاركة المرأة في قطاع الخدمات الصحيّة من أهميّة التخصصات الطبيّة فهي من أكثر المجالات التّي تبرع فيها كالتمريض والطب مثلاً، فوجود المرأة في مجال العمل يُساند المرأة في المجتمع لأن النساء يفهمن متطلبات بعضهن، والقول بمساهمة المرأة في تطوير واقع الخدمة الصحيّة لا يعني أنّنا نركّز على الكفاية في الأرقام، أي مدى التغطية الكميّة، وعدد الكوادر البشريّة المعنيّة بالأداء، ولكن الأمر لا يقف عند هذا الحد فالتغطية الكمية لوحدها ليست هي المبتغى الوحيد للتعرف على مدى مساهمة السيدات العاملات كنسبة ديموغرافية من الموارد البشريّة لا يستهان بها في تطوير واقع خدمات الرعاية الصحيّة وإمكانية قياس ذلك، أيضاً مقارنة بدورها سابقاً ودور الرجل، وهناك المعيار للقياس نوعيّة الخدمة المُقدّمة والمقصود بها الكيف الذي نصل إليه بفضل الكفاءة العلميّة والتدريبيّة العالية، ويعني هذا أن تنمية الطاقات البشرية والقدرة على التفكير والابداع واستخدام طاقات المرأة ومهاراتها الابداعية أصبحت ضرورة حتمية للتكيف مع التطورات واحتياجات المجتمع التنموية وبناء على ما تقدم يمكن صياغة مشكلة البحث بالتساؤل الآتي: **ما دور الاستباقية وإبداع المرأة العاملة في تحسين واقع الخدمات الصحيّة المقدمة في المراكز الصحيّة في محافظة اللاذقية؟** وترجع **أهمية البحث** نتيجة الإسهامات المتميزة التي يقّدمها العمل الإبداعي

والاستباقي على المستويين العلمي والتطبيقي، حيث يعد من المتغيرات المؤثرة في قدرة المؤسسات على النمو، والاهتمّام بموضوع المرأة ينبثق في الوقت الحالي كونه مطلباً اساسياً في الاستجابة للحاجة لضرورة اشراكها في عملية التنمية الصحيّة، وتفعيل مساهمتها في تنمية قطاع الخدمات الصحيّة، كما أنّ تفعيل دورها يحظى باهتمّام عالميّ، وباهتمّام الخطط التنمويّة في الجمهورية السوريّة، لتفعيل دورها في عملية التنمية، وتحديد مكامن الخلل لتكون نقطة انطلاق في تحديد السياسات المستقبليّة، إضافة لانفراد الدراسة بتسليط الضوء على الاستباقية والإبداع وعلاقته بالأداء، ونظراً لأهمية المهارات الإبداعية والاستباقية في تمكين المرأة العاملة في القطاع الصحي ليكون أدائها مرناً متأقلماً مع التغيرات المستمرة في البيئة المحيطة، وبالتالي يمكن أن تكون الدراسة مرجعاً لواضعي السياسات المتعلقة بتعزيز ومعالجة الجوانب المتعلقة بعمل المرأة بما يتوافق مع متطلبات التنمية. والأهمية العملية للبحث من خلال أدوات القياس المتنوعة التي طبقت في تصميم وتحليل نتائج الاستبانة للتعرف على مساهمة المرأة في الخدمات المقدمة بالمراكز الصحيّة.

أهداف البحث وأسئلته:

يمكن حصر أهم أهداف البحث بما يأتي:

١. التعرف على مدى مساهمة المرأة في المراكز الصحيّة الحكوميّة في محافظة اللاذقية.
٢. التعرف على ابداع واستباقية المرأة العاملة ودورها في تحسين واقع الخدمات الصحيّة المقدمة في المراكز الصحيّة في محافظة اللاذقية.
٣. محاولة تقديم مقترحات علميّة موضوعية تسهم بتفعيل دور المرأة السورية في عملية التنمية الصحيّة.

تساؤلات البحث: التساؤل الرئيس: ما دور الاستباقية وإبداع المرأة العاملة في تحسين واقع الخدمات الصحيّة المقدمة في المراكز الصحيّة الحكوميّة محافظة اللاذقية؟ وينبثق عنها مجموعة من التساؤلات الفرعية الآتية:

- ما مدى مشاركة المرأة السورية العاملة ومساهمتهن ضمن عدد الكوادر البشريّة المعنيّة بالأداء في المراكز الصحيّة في محافظة اللاذقية.

- ما مدى مشاركة المرأة السورية العاملة واستباقيتها وأدائها الإبداعي في تنمية قطاع خدمات الصحيّة الحكومية في المراكز الصحيّة في محافظة اللاذقية.
- هل يوجد أثر لاستباقية وإبداع المرأة في تحسين الخدمات المقدمة في قطاع الخدمات الصحيّة الحكومية؟
- هل المرأة العاملة في المراكز الحكومية سباقة في تأدية الخدمات اللازمة؟
- هل يمثل التفكير الدقيق والعمل الاستباقي منهجاً لعمل المرأة في المراكز الصحيّة العامة؟
- هل يوجد إبداع وتميز لدى الكثير من الإناث في المراكز الصحيّة؟
- هل ساهمت المرأة العاملة في المراكز الصحيّة في إيجاد حلول مختلفة للعديد من الإشكاليات؟
- ما دور استباقية المرأة العاملة في تحسين الخدمات الصحيّة في المراكز الصحيّة في محافظة اللاذقية؟
- ما دور إبداع المرأة العاملة في تحسين الخدمات الصحيّة في المراكز الصحيّة في محافظة اللاذقية؟

فرضيات البحث وحدوده:

فرضيات البحث

الفرضية الأولى: لا يوجد فروق جوهرية ذات دلالة احصائية بين الإبداع والاستباقية في قطاع الخدمات المقدمة في المراكز الصحيّة المتوفرة والواجب توافرها على مستوى ٠,٠٥%.

الفرضية الثانية: لا يوجد فروق جوهرية ذات دلالة احصائية بين واقع المراكز الصحيّة المتوافرة والواجب توافرها على مستوى ٠,٠٥%.

الفرضية الثالثة: لا يوجد أثر ذو دلالة احصائية لاستباقية وإبداع المرأة في تحسين واقع قطاع الخدمات المقدمة في المراكز الصحيّة في محافظة اللاذقية على مستوى ٠,٠٥%.

حدود البحث:

الحدود المكانية: المراكز الصحيّة المسجّلة في وزارة الصحّة في محافظة اللاذقيّة.

الحدود الزمانية: الربع الأول والثاني لعام ٢٠٢٣.

الحدود البشرية: المستفيدين من خدمات المراكز الصحيّة.

مصطلحات البحث وتعريفاته الإجرائية

مفهوم الإبداع : بانه مجموعة من القدرات والاستعدادات والسمات لدى الافراد والتي ترتبط بالبيئة الطبيعية والثقافية والاجتماعية، مما يؤدى إلى اتخاذهم أساليب مبتكرة في الفكر أو السلوك.(محروس وآخرون، ٢٠١٦، ص١٠)

تنمية الإبداع: هي عملية تنمية للمهارات الذاتية للأفراد العاملين، وللشخصية، وتأهيل وتدريب العاملين وتعليمهم وتوجيه سلوكهم، وهي عملية خلق بيئة ملائمة للإبداع ان حيث الحوافز والإمكانات والقيادة والمعلومات والقيم لاستمرار عملية الإبداع(خير الله، ٢٠١٥ ، ص١٨٨)

الاستباقية: تشمل السلوك النشط السلوك الذاتي، اذ يتسبب الفرد في التغيير الفعلي للموقف، بدلاً من
الانتظار بشكل تفاعلي وسلبي لحدوث شيء ما. (التميمي، ٢٠٢٠، ص٢٠)

استباق في اللغة: مصدقِ استَبق [س ب ق] اِستِبَاُق الأَحَداث: تَعجُلهاَ قْبلُ حدوِثَها، بيع أوراق مالية بصورة غير قانونية قبل إدراجها لدى هيئة الأسواق والأوراق المالية (معجم المعاني الجامع، ٢٠٢٢)

تعريف الشخصية الاستباقية : تعّد من المفاهيم الحديثة نسبياً المرتبطة بالنجاح والتميز في مجالات العمل والإنتاج، والإنجاز، وجودة الحياة، وهي المفتاح الذي يميز بين الأفراد في المجالات المختلفة. (مرزوق / جلال، ٢٠٢٤، ص٣٣٠)

مصطلح السلوك الاستباقي عرف بانه اخذ المبادرة لتحسين الظروف الحالية او خلق ظروف جديدة والذي ينطوي على تحدي الوضع الراهن بدلا من التكيف السلبي مع الظروف الحالية (عوجة ، ٢٠١٨،ص ١٤٦)

سلوك العمل الاستباقي أنه إجراء قائم على الذات وموجه نحو المستقبل لتحسين الجهود وتغييرها، كونك استباقياً يعني أخذ زمام المبادرة في تحسين الظروف الحالية(Farooq et al.,2019:78) وهو السلوك القائم على التعلم وتحليل بيئة العمل والتنبؤ بالتغييرات المحتملة التي ستشهدها في

المستقبل من أجل الاستعداد لها وتجنبها، وكذلك استكشاف الفرص المستقبلية واستثمارها بشكل فاعل قبل أن يتعرف عليها المنافسون(الشمري واخرون،٢٠٢٠، ص٢٨٢)

المرأة العاملة :هي المرأة التي تزاول مهنة أو وظيفة معينة خارج البيت بحيث تستغرق ساعات من وقتها مقابل أجر. (جروج، ٢٠١٨، ص٢٦)

التعريف الاجرائي: هي المرأة التي تجمع بين العمل خارج المنزل ومسؤوليات الأُسرة وادوارها المتعددة كونها تقوم بدور الأم والزوجة وربة البيت، وتزاول عملاً ما خارج المنزل لقاء أجر مادي مدفوع لها.

المراكز الصحيّة: منشآت تقدّم الرعاية الصحيّة الوقائية، التشخيص والعلاج الطبيّ والجراحي والرعاية التأهيلية بما في ذلك الإقامة والخدمات الاستشارية الصحيّة. (كاظم،٢٠١٤، ص24)

الدراسات السابقة

-أفادت دراسة **إيمان ودليلة (٢٠٢٢)** بعنوان **(أثر استراتيجيتي المواجهة الاستباقية والوقائية في تحقيق الرفاهية الذاتية لدى المسنين)** أن المواجهة الاستباقية والوقائية كمؤشرات للرفاهية الذاتية لدى المسنين، حيث هناك عدة أسباب للافتراض بأن هذه الاستراتيجيات الموجهة نحو المستقبل لها دور حاسم في تعزيز الرفاهية، والهدف من هذه الدراسة هو الكشف عن أثر استراتيجيتي المواجهة الاستباقية والوقائية في تحقيق الرفاهية الذاتية لدى عينة من المسنين، تمّ اتباع المنهج الوصفي لمحاولة وصف وتفسير أثر استراتيجيات المواجهة (الاستباقية والوقائية) في تحقيق الرفاهية الذاتية، ونظرا لملاءمته لأهداف الدراسة، تكونت عينة الدراسة من 56مسن منهم 64.3%ذكور و٣٦,٧% إناث، يتراوح سنهم بين 55و٧٥سنة والمتواجدين بالجزائر العاصمة .أظهرت النتائج وجود علاقة ارتباطية موجبة ذات دلالة إحصائية بين، استراتيجيتي المواجهة الاستباقية والمواجهة الوقائية والرفاهية الذاتية مما يدل على الأثر الإيجابي لكلا الاستراتيجيتين، في تحقيق الرفاهية الذاتية لدى المسنين، كما أن المتغير الذي كان له أثر جوهري على الرفاهية الذاتية لدى المسنين، هو استراتيجية المواجهة الوقائية.

-تبين دراسة **رحامنية (2021)** بعنوان: **(تقييم الخدمات الصحيّة في المؤسسات الصحيّة العمومية من وجهة نظر المرضى-دراسة ميدانية بالمؤسسات الصحيّة العمومية بمدينة قسنطينة)** ترتبط الخدمات الصحيّة بالتطور العمراني للمدينة، حيث أن المهمة الأساسية لهذه الخدمات هي تلبية احتياجات السكان بالشكل والنوع المطلوب.هدفت هذه الدراسة الى محاولة تقييم الخدمات الصحيّة المقدمة في المؤسسات الصحيّة العمومية بمدينة قسنطينة .المؤسسات الصحيّة بمدينة قسنطينة ساهمت في تحسين صحة المواطن وهذا راجع لكل الخصائص والمميزات التي تتمتع بها من وجود فريق طبي مؤهل من أطباء وممرضين يتميزون بمستوى مقبول من الأداء الطبي. تركزت أغلب الخدمات الصحيّة ببلدية قسنطينة، التي تمثل مركز الثقل السكاني والإداري والخدماتي باعتبارها عاصمة الولاية، استندت الدراسة على المنهج الوصفي لأنه تلاءم مع طبيعة الدراسة للوصول الى نتائج منطقية ومنظمة، وتم تطبيق الملاحظة واختبار صحة الفرضية الرئيسية: كلما ازداد مستوى الرضا الذي يعبر عنه المريض، ازداد مستوى الرضا العام عن الخدمات الصحيّة، الذي يعبر عن توفر خدمات صحيّة مقبولة بالمؤسسات الصحيّة. توصلت الدراسة الى أن الخدمات الصحيّة في مدينة قسنطينة لم تصل إلى الدرجة المطلوبة لكي تقدم خدماتها الصحيّة بالمستوى المطلوب مما يتطلب إعادة النظر في المنظومة والسياسة الصحيّة وتطبيق معايير منظمة الصحة العالمية.

هدفت دراسة **ساعد (٢٠١٦)** بعنوان: **(دور القيادة الإبداعية في تحسين مستوى الثقافة التنظيمية في وزارة الصحة الفلسطينية)** للتعرف على مدى توافر سمات القيادة الإبداعية لدى المسئولين في وزارة الصحة الفلسطينية، وعلى مستوى الثقافة التنظيمية السائدة في وزارة الصحة الفلسطينية، كما هدفت إلى اختبار طبيعة العلاقة بين القيادة الإبداعية والثقافة التنظيمية بوزارة الصحة الفلسطينية، وتم إتباع المنهج الوصفي التحليلي، واستخدمت الاستبانة كأداة رئيسية في جمع البيانات الأولية، كما أُستخدم أسلوب المسح الشامل حيث وزعت الاستبانة على 178مديراً ممن يشغلون منصب مدير عام ومدير وحدة ومدير دائرة في وزارة الصحة الفلسطينية بالمحافظات الجنوبية، واستجاب منهم 126بنسب (70.7%)توصلت الدراسة الى مجموعة من النتائج أهمها أن نسبة القيادة الإبداعية لدى

المسئولين في وزارة الصحة الفلسطينية بالمحافظات الجنوبية80%. ومستوى الثقافة التنظيمية السائدة في وزارة الصحة الفلسطينية بالمحافظات الجنوبية بلغ75.4%. وهناك علاقة طردية ذات دلالة إحصائية بين القيادة الإبداعية بأبعادها المختلفة وبين الدرجة الكلية للثقافة التنظيمية السائدة في وزارة الصحة الفلسطينية بالمحافظات الجنوبية. من أهم التوصيات: العمل على تعزيز ورفع مستوى أداء مديري الوزارة من خلال الحاقهم بالدورات التدريبية في مجال القيادة ولا سيما القيادة الابداعية، على ان تأخذ هذه الدورات صفة الاستمرارية والمتابعة الجادة، أن يعمل مديري الوزارة على تنمية ثقافة تنظيمية ايجابية داخل الوزارة من خلال توفير أجواء مريحة للعمل واقامة علاقات طيبة مع كافة العاملين، وخلق مناخ تنظيمي يشجع على الانجاز والتميز، اعتماد معايير وآليات تضمن وصول أصحاب الكفاءات والمبدعين.

دراسة **Kelemen et. Al**(**٢٠٢٠**)بعنوان: **(When does diversity enhance gender team performance? The dual need for transformational leadership and team tenure) (متى يعزز التنوع في الجنس أداء الفريق؟ الحاجة لكل من القيادة التحويلية وطول فترة العمل كفريق)** هدفت الدراسة إلى استكشاف العلاقة بين التنّوع في الجنس وأداء الفريق، وتحديد الشروط التي من الممكن أن تجعل هذه العلاقة إّما إيجابيّة أو سلبية. كما تمّ اختبار تأثير ايصال رؤية القائد (القيادة ذات الرؤية) على هذه العلاقة .شملت عّينة الدراسة 595موظّفا يعملون بدوام كامل يشكلون 106 فريقا في الصين. تمّ اعتماد مؤشر Blau197 لقياس تنّوع الفريق، كما تم تقييم التواصل مع رؤية القائد باستخدام مقياس مكون من 5عناصر للتواصل مع رؤية القائد وتم تطويره بواسطة (Podsakoff *et al*. (1990من أجل قياس مدة عمل الفريق، تّم أخذ متوسط إجابة كل عضو في كل فريق على سؤال "منذ متى وأنت تعمل في هذا الفريق؟"، ويتماشى هذا النوع من طرق جمع البيانات مع (Carter et al., 2019). تم تقييم أداء الفريق باستخدام مقياس مكون من عناصر مقتبس من(2000) .Alper *et al*.من أهم النتائج: إيصال رؤية القائد تؤدي إلى تعديل العلاقة بين التنّوع في الجنس وأداء الفريق، فعندما لا تصل رؤية القائد بشكل جّيد فإن التنّوع في الجنس يؤّدي إلى انخفاض أداء الفريق. هناك تأثير إيجابي ذو

دلالة للتنّوع في الجنس على أداء الفريق فقط عندما يتحقّق شرطان إيصال رؤية القائد، وعندما يعمل الفريق معاً لفترة طويلة.

تعقيب على الدراسات السابقة: من خلال استعراض الدراسات السابقة العربية والأجنبية، نجد أنها قد تطرقت لجانب محددّ متصل من الموضوع، فبعضها ركز على أثر مشاركة المرأة وعلى السمات الإبداعية، وبعضها على تقييم الأداء والثقافة التنظيمية، وبعضها على الاستباقية وبعضها ركز على الخدمات والموارد البشريّة الصحيّة وارتبط بعضها بالناحية السكانية الاجتمّاعية، في حين لم تشمل أي من الدراسات السابقة على الرغم من أهميتها لكافة مُتغيّرات الدراسة الحاليّة التي ركزت على الكفاية من ناحيتين كمية ونوعيّة. ممّا سبق نلاحظ أن الدراسة الحاليّة تختلف عن الدراسات السابقة وتشمل إضافة علميّة من أهمّها الآتي:

- تركيّزها على موضوع لم يتمّ طرحه سابقاً في محافظة اللاذقيّة.
- التعرف على مساهمة المرأة في المراكز الصحيّة في محافظة اللاذقية.
- تركّز البحث على المراكز الصحيّة الحكوميّة التابعة لوزارة الصحّة في محافظة اللاذقية.
- اعتمّد البحث على الاستبانة التي وزعت على عينة من المستفيدين من الخدمات الصحيّة.

الإطار النظري:

أولاً: مفهوم الخدمات والخدمات الصحيّة وتصنيفاتها

تعرف المؤسسة الخدميّة بأنها مجموعة إجراءات تقع بين مقّدم الخدمة وبين متلقّي الخدمة وذلك لإنتاج مخرجات تعمل على إرضاء العميل (زوزو، 2011، ص٣٣). يعُّد مفهوم الخدمات الصحيّة نابعاً من مفهوم للخدمات، وأحد مدخلات إنتاج الصحة، فقدُ عّرفت بأنها العلاج المقدم للمرضى سواء كان تشخيصياً أو إرشاداً أو تدخلاً طبياً ينتج عنه رضا وانتفاع من قبل المرضى وبما يؤول لأن يكونوا بحالة صحيّة أفضل.

عُرّفت **الخدمة الصحيّة** بأنها العلاج المقدّم للمرضى سواء كان تشخيصياً أو إرشاداً أو تدخلاً طبياً، ينتج عنه رضا وانتفاع المرضى ليكونوا بحالة صحيّة أفضل. ويمكن تعريف الخدمة

الصحيّة على أنّها: عبارة عن أنشطة أو منافع صحيّة، تقُّدم إلى المرضى (الشرف، ٢٠١١) أما **الكوادر الصحيّة في الميدان الطبي:** هم: الأطباء العاملون، الأطباء الاختصاصيون، أطباء الأسنان، الصيادلة، مهندسو الصحّة العامة، أخصائيو التحاليل الطبية، أخصائيو الأشعة، الممرضات، مشرفو التغذية، الاخصائيون الاجتماعيون وجهاز فني مساعد بأنواعه المختلفة. (عبيدو،٢٠٠٧، ص١٩٢)، وهي قوى تعمل في المرافق الطبية كافةً من مستشفيات ومراكز صحيّة ومراكز تشخيص. وهي بمعظمها مساندة للعمل الطبي وتضمّ عمالاً مهرة وعاديين يعملون في هذه المرافق. (خياط،٢٠١٩، ص٢٢) ومؤسسات الخدمات الصحيّة سواء علاجية موجهة للفرد أو وقائية موجهة للمجتمّع تقسم لعدّة اقسام بناء على معايير عديدة، مثل على أساس الملكية والتبعية الإدارية او حسب وظائفها.

١- **<u>على أساس الملكية والتبعية الإدارية:</u>** **١-المؤسسات الصحيّة الحكومية:** تتميز بملكيتها للدولة أو إحدى الهيئات أو المؤسسات الرسميّة وغالباً تتبع لوزارة الصحّة، وتقدم خدمات لجميع الأفراد بالمجان أو مقابل رسوم، وقد تضم مختلف التخصصات والأقسام العلاجية، منها: المشافي، المؤسسات الصحيّة الحكومية التخصصية، المراكز الصحيّة، المشافي الجامعية والتعليمية. (أبو شامة، 2015، ص ٢٣)

٢-المؤسسات الصحيّة الخاصة :تكون هذه المؤسسات مملوكة (لأفراد، هيئات، جمعيات دينية أو خيرية، شركات خاصة) تتم إدارتها وفقا لنمط الإدارة في القطاع الخاص، وفي حدود الإطار العام المنظم للقطاع الصحي في الدولة. (البحري، ٢٠٢٠، ١٨-١٢٠)

تُقسم **<u>حسب وظائفها:</u>** (Chandrakumara, 2015) **١-الخدمة الصحيّة العلاجية** :تشتمّل على الخدمات المرتبطة بصحّة الفرد بصورة مباشرة، كالتشخيص وخدمات العلاج، سواء تمّ ذلك بالعلاج الدوائي المباشر او تحتاج رعاية سريرية داخل المشافي والمراكز الصحيّة، أو ذلك بالتدخل الجراحي التقليدي أو الحديث، ويهدف هذا النوع من الخدمات إلى تخليص الفرد من مرض أصابه أو تخفيف معاناة الفرد من آلام المرض.

٢-الخدمة الصحيّة الوقائية :وهي الخدمات الصحيّة المرتبطة بصحّة المجتمّع حيث ترتبط تلك الخدمات بالحماية من الأمراض المعدية والأوبئة والحماية من التدهور الصحيّ. هي خدمات مانعة، تهدف إلى وقاية الفرد من التعُّرض للمرض، وهي تشتمّل على خدمات التلقيح

من الأمراض الوبائية، وخدمات رعاية الأمومة والطفولة، وخدمات الرقابة الصحيّة، إضافة إلى خدمات الإعلام ونشر الوعي الصحيّ.

ثانياً: دور الإبداع للمرأة العاملة في تحسين واقع الخدمات الصحيّة

يمثل **الإبداع** الإنتاج والتطبيق الابتكاري للأفكار وتؤدي إلى تحسين الخدمات المقدمة، ويشمل خطوات تتضمن تطبيق أفكار خلاقة تضيف قيم للمنشأة ما تؤدي إلى تحقيق زيادة في الارباح أو تقليل نسبة التكاليف، وهي الاستخدام الفعال للموارد وتخصيص الوقت والجهد والمال (المحياوي ،٢٠٢١، ص١١٠) وعُرّف الإبداع أنّه إنتاج مفيد ومختلف عمّا موجود، ويؤدّي إلى الابتكار الذي تنتج عنه طرق جديدة للقيام بالأشياء والوصول إلى منتجاتٍ جديدة، فالجنسين يُشكّلان محرّك التقدّم البشري؛ بسبب دورهما في تغيير حال العالم للأفضل، وبالرغم من دور المرأة في الإبداع إلّا أنّ عدداً قليلاً من الأبحاث ناقشت دور المبدعات، والتحديّات التي يواجهونها أثناء العمل(www.wipo.int, 2020, 4-6) وتستطيع المرأة تخطّي معيقات الإبداع، وفيما يأتي بعض الخطوات التي تفيدها: تحلّي المرأة بالاستقلالية، وفهم الأفكار النمطية وتخطّيها للمشاركة في الأدوار القيادية والأنشطة التنموية، من خلال الحوار مع الآخرين وطرح الأسئلة وتكرار المحاولات وتحديد عناصر النجاح في العمل الإبداعي. تعلّم التخطيط الفعّال للمستقبل وأهميّته للمرأة، وتعلّم أساليب الاتصال المختلفة. إكمال التعليم الرسمي. (Reis, 2020, p:55)، فضلاً عن دور المجتمع في التخلّص من معيقات إبداع المرأة وذلك خلال: تحديد التحديات التي تواجه المرأة، والاعتراف بمواهبها الإبداعية وتشجيعها وتسليط الضوء على إنجازاتها، وفهم التحديات التي تواجهها، وتُقلّل من إبداعها ونجاحها وحلّها، وتشجيع المرأة على تكوين علاقات مع غيرها، وتشجيعها على اختيار مجال تُبدع فيه، والتخطيط الفعّال لتحقيق النجاح فيه، وتدريب المرأة على التفكير الإبداعي، واتّخاذ القرارات، وتقديم الدعم المستمر للمرأة المبدعة في أيّ مجال، وتجنّب النقد السلبي، ومساعدتها على تطوير ثقتها بنفسها، وبقدرتها على الإبداع. (UN Women 2019, P3) وقد صرحت منظمة العمل الدولية: يُعتبر تعزيز فرص العمل اللائقة للمرأة أمراً حتمياً، وقد آن أوان اتخاذ

الإجراءات اللازمة والاستثمار في المرأة إنها مسألة حقوقٍ وما هو حقٌ للمرأة وللتنمية المستدامة.

(https://www.ilo.org/beirut/media-centre/fs/WCMS_436341/lang-ar/index.htm اذا لن تتحقق المساواةٌ الحقيقة بين الجنسين حتى يُثمَّن ويقدر عمل المرأة بشكل كبير. يعد الإبداع هدفاً تسعى المؤسسات حول العالم إلى تحقيقه وغالباً يكون المصدر الرئيس لتحقيق النجاح، ويتمثل بأنه القدرة على إيجاد الفرص الجديدة، وتوليد الافكار الجديدة ودعم الإبداع والحداثة وجهود البحث والتطوير وايجاد الحلول المبتكرة (Poon, 2015, p33)، لتحقيق الابتكار والابداع في تطوير الخدمات الصحيّة نجد أن العمل المستمر والحثيث لإيجاد وتطوير الخدمات الصحيّة يجب إنّ تقوم بتقديم خدمات جديدة ومطورة فالتدريب هو العملية المنظمة التي من خلالها تسعى لتغيير سلوكيات العاملين من أجل زيادة فعاليتهم وأدائهم وهو الاجراء المنظم الذي يستطع من خلاله بالأفراد اكتساب معرفة او مهارة جديدة تساعدهم على تحقيق الأهداف ، وعلى ذلك، فإن مشاركة المرأة في تنمية الخدمات الصحيّة ليست غاية بحدّ ذاتها، إنما ينبغي أن يتمّ ذلك في سبيل تحقيق غايات أسمى، والأهم من ذلك أن يعي أفراد المجتمع رجالاً أو نساءً بأهمية هذه الغايات ودورها في التنمية. ولا بد من أن تستلم المرأة ذاتها زمام المبادرة، وتثبت ذاتها وقدرتها، من خلال رفع مستوى كفاءة أدائها.

ثالثاً: الاستباقية وعناصر السلوك الاستباقي في المؤسسات الصحيّة

الاستباقية (المبادرة) Proactiveness: هي عملية خلق وتقديم قيمة جديدة من خلال توفير الوقت المناسب والمجهود، والموارد المالية والمادية والبشرية، ومواجهة المخاطر وظروف عدم التأكد، وتحقيق العوائد الناتجة عن ذلك في شكل قيم مالية أو تحقيق الرضا الشخصي، وذلك في ظل وجود مخاطر اجتماعية ومادية ومالية. (عباس، والسلامي، ٢٠١٥، ص٧) ويشير (Tim's& Bakker, 2010)الى أن السلوك الإستباقي يُعد مبادرة لتحسين الظروف الراهنة أو لخلق ظروف جديدة وتحدى الوضع الحالي بدلاً من التكيف السلبى معه، وتُمثل الشخصية الاستباقية Proactive Personality مدخلاً لذلك السلوك فهي تصف الاتجاهات السلوكية نحوه، ومفهوم السلوك الإستباقى في قاموس Oxford Dictionary أنه السلوك الذى

يخلق أو يتحكم فى الوضع من خلال أخذ المبادرة أو عن طريق توقع الأحداث (بدلاَ من الاستجابة لها) لاتخاذ تدابير إستباقية للعمل المتوقع مقدماَ، وهذا المفهوم يتفق مع التعريف الذى قدمه(Grant& Ashford, 2008) بات للسلوك الاستباقي دور متزايد الأهمية في الأداء (Garcia−Juna,et al.,2020)، كما أصبحت السلوكيات الاستباقية للعامل تساهم بشكل إيجابي في النتائج الفردية، مثل الإبداع وأداء المهام والمبادرة المهنية (Hermann& Felfe, 2014)، وتناولت الدراسات العلاقة بين الممارسات عالية الأداء والسلوكيات الاستباقية للعاملين، ومنها (التوظيف الانتقائي، التدريب الشامل، تقييم الأداء، نظم المكافآت)على الأداء الاستباقي. ويفسر ذلك بأن السلوكيات الاستباقية تؤثر عليها مجموعة عوامل وممارسات إدارة الموارد البشرية عالية الأداء، والمتمثلة في الآتي:

١−التدريب والتطوير: للعاملين يساهم في تنمية المهارات الشخصية للعاملين، مما يعزز روح المبادرة والسلوكيات الاستباقية، ويمكنهم من توليد أفكار جديدة وتنفيذها لتحقيق التغيير (ابتكار ذاتي) وأشار(Wu et al., 2014) إلى أن هذا الابتكار يُعد سلوكاَ إستباقياً في نطاق العمل، فالتدريب والتطوير يُعد نشاطاً يعمل على التوسع في أداء العامل وتحسين سلوكه.

٢−الأمان الوظيفي : العامل عندما يتأكد من الحفاظ على وظيفته، ويتوقع البقاء فيها طالما رغب بذلك، حتى إذا كانت الشركة تواجه مشاكل اقتصادية فإنه سيكون آخر من يحصل على إنهاء خدمته بها، مما يجعله يبادر بتقديم مقترحات للتعامل مع قضايا العمل حتى لو تعارضت مع توجهات الأخرين، وينادى بأهمية طرح أفكار جديدة لتغيير إجراءات العمل السائدة مما يُعد سلوكا إستباقياً (Chang et al., 2014, p 665-680)

٣−تصميم الوظيفة : هي المحدد الرئيسي لتحفيز العاملين على تصميم أساليب عمل جديدة أكثر فعالية في أداء مهامهم الوظيفية، وتقديم عدداً من الحلول المقترحة لمشكلات العمل الحرجة وحلها والوقاية منها وتحمل المسؤولية يمثلان مبادرة وسلوكاً إستباقياً، ويتفق هذا مع ما أكده (Shin& Kim, 2015)أن هناك حاجة ملحة إلى إطار نظري متين لمعالجة الآلية التي من خلالها يمكن توليد السلوك الاستباقي والتي تشمل ظروف العمل(الدعم التنظيمي، القيادة،

تصميم الوظيفة وخصائصها ، والفروق الفردية الديموغرافية، الشخصية الاستباقية، والمعرفة/القدرات).

رابعاً: مساهمة المرأة العاملة في المراكز الصحيّة في محافظة اللاذقية.

إن مسألة عمل المرأة ومشاركتها في التنمية، إحدى المسائل الأساسية المطروحة للنقاش والتي حازت على اهتمام الباحثين الذين حاولوا دراستها انطلاقاً من كونها تنطوي على دلالات اجتماعية مختلفة، ففي الوقت الذي أخذت فيه المعايير الجديدة التي تدعو إلى ضرورة مشاركة المرأة في النشاطات المتنوعة بالانتشار، فإنه ما زالت تسود مجموعة كبيرة من المعايير الاجتماعية التي تدعو إلى ضرورة التزام المرأة بالتقاليد والقيم والأعراف الاجتماعية التي يستقرّ عليها المجتمع منذ مئات السنين حتى الآن.

اما تفعيل دور المرأة يعني تنمية قدراتها المادية والثقافية، والارتقاء بمستوى تحصيلها ، وإعدادها إعداداً مهنياً، وتوفير فرص العمل لها، والخدمات الصحيّة، والخدمات المساعدة الأخرى التي تخفف عنها الأعباء المنزلية، ورفع معنوياتها وتوعيتها بأهميتها وأهمية مشاركتها، وتغيير النظرة التقليدية للمجتمّع نحوها، والتخلص من العادات والتقاليد الاجتمّاعية التي تعمق دونية المرأة، ونشر ثقافة العدالة والمساواة بين الجنسين.(ابو حمدان،٢٠١٤) وُيقصد بالتمّكين أيضاً قدرة الأشخاص، نساء ورجالاً، على امتلاك ناصية أمور حياتهم، واكتساب المهارات، وحل المشكلات، وتنمية قدرتهم بالاعتمّاد على الذات. والتمّكين يشمل كل من الخطوات العملية وما يتبعها من نتائج. (Women's Empowerment Principles,2011) وتشمل تنمية الموارد البشريّة في قطاع الخدمات الصحيّة على تدريب الكوادر الطبيّة والإدارية والفنية بعد تعيينهم . في العمل لأول مرة ومن ثم كل فترة حسب حاجات العمل المختلفة، وتوفير الفرص أمامهم لتعلم مهارات جديدة، وامدادهم بالموارد التي تعّزز أداءهم. (بدران،2015). كما فرض التطور الاجتماعي على المرأة العمل خارج المنزل للمشاركة في دعم ميزانية الأسرة والمساهمة في التنمية، وزيادة الإنتاجية بكافة اشكالها. (كزاز ورزاق،٢٠١٦، ص ١٤٢-١٤٣).

وطالما أن المرأة تشكل نصف المجتمّع، فمن غير المقبول بقاء نصفه معطلاً، وبالتالي أن العمل ليس منافسة بين الرجل والمرأة بقدر ما هو مشاركة المرأة للرجل بزيادة الدخل والنهوض بالمجتمّع ، علماً ان دور المرأة العاملة السورية وثيق الارتباط بالظروف التي يمر بها المجتمّع، من الجدير بالذكر أن المرأة سجَّلت في القطاع الصحيّ إنجازات كثيرة إلى أن بات دورها مهماً في هذا القطاع من خلال ما تقوم به من دور فاعل أسهم في تعزيز الخدمات الصحيّة والعلاجية إلى جانب الاستراتيجيات والخطط الطموحة والمؤشرات التي تحققت ونهضت بالقطاع الصحيّ. فيما يلي تبين الجداول تطور مساهمة المرأة في المراكز التابعة لوزارة الصحّة في محافظة اللاذقية.

الجدول (٤). تطور المؤشرات الصحيّة المتعلقة بالخدمات المقدمة في المراكز الصحيّة لمحافظة اللاذقية

العام	مراجعين	خدمات
٢٠١٣	1,128,077	2,170,632
٢٠١٤	1,590,579	٢٧١٦٧٩١
٢٠١٥	٩٩١،٩٨٤	١٩٨١٨٤٦
٢٠١٦	١،١٠١،١٨٠	١٦٢٥١٨٠
٢٠١٧	١،٠٥٦،٠٩٤	١٦٧٦٤٥٤
٢٠١٨	١،٠٥١،٣٩١	٢٠٠٧٠٧١
٢٠١٩	١،٠١١،٣٠٤	١٩٩٤٠٤٥
٢٠٢٠	٧٧٧،٥٣٣	٢٠٢١٩٤١

المصدر: اعداد الباحثة، بيانات غير منشورة، مديرية الصحّة في مدينة اللاذقية، شعبة الإحصاء

وللتعرف على مساهمة المرأة في الخدمات الصحيّة عبر السنوات نلاحظ تطور عدد السيدات العاملات في المراكز الصحيّة الحكوميّة في محافظة اللاذقية كما هو موضح في الجدول (٥)

الجدول (٥). ميزان القوى العاملة في كافة المراكز الصحيّة الحكوميّة التابعة لمديرية الصحّة لمحافظة اللاذقية

العام	معين		متعاقد	
	ذكر	انثى	ذكر	انثى
٢٠١٣	421	2643	68	129
٢٠١٤	٤٤١	٢٦٥٦	٧٢	٢٢٤
٢٠١٥	٤٣١	٢٦٢٤	٧٥	٢٥٠
٢٠١٦	٣٩٧	٢٦١٧	٨٨	٢٤٠
٢٠١٧	٤٣٦	٢٧٨٢	٦٤	٩٨
٢٠١٨	٤٢٩	٢٧١٣	٦٤	١١٢
٢٠١٩	٤٠٤	٢٦٢٣	٦٥	١٠٩
٢٠٢٠	٢١٢	٢٢٤٧	٥٨	٨٩

المصدر: اعداد الباحثة، بيانات غير منشورة، مديرية الصحّة في مدينة اللاذقية، شعبة الإحصاء

ومما سبق يتبين تطور عدد العاملات مقارنة بعدد العاملين الذكور وهذا يدل على تطور مساهمة المرأة كمياً في الخدمات الصحيّة المقدمة في المراكز الحكوميّة التابعة لوزارة الصحّة في محافظة اللاذقية.

منهج البحث وإجراءاته:

اعتمّد البحث المنهج الوصفي التحليلي الذي يعتمّد على دراسة الظاهرة كما توجد في الواقع، ووصفها وصفاً دقيقاً ويعبر عنها تعبيراً كيفياً أو كمياً، حيث تمّ اعتماد طريقة المسح الاجتماعي بالعينة وتمّ تصميم استمارة لهذا الغرض عرضت على محكمين في كلية الآداب في جامعة تشرين، إضافة الى الاخصائيين في الإحصاء في كلية الاقتصاد. كما اعتمّد البحث على المقاربة الاستنباطية التي تركز على صياغة الفرضيات ومن ثم القيام باختبار صحتها من عدمه. وتمّ استخدام طريقة متوسط المتوسطات التي تركز على حساب المتوسط الحسابي لأكثر من مرة بالاعتمّاد على مقياس ليكرت الخماسي في الإجابة على الأسئلة الموجهة لعينة البحث، إن الوسط الحسابي لمقياس ليكرت = 3 وهو القيمة التي يقارن بها الوسط الحسابي لكل سؤال، أما معيار الحكم على متوسط الاستجابات وفقاً لمقياس ليكرت:

طول الفئة = (درجة الاستجابة العليا – درجة الاستجابة الدنيا)/عدد فئات الاستجابة طول الفئة = (5-1) /5 = 0.8

وبناءً عليه تمّ اعتماد التبويب المغلق وتم تحديد المجالات الآتية

الجدول(١) مقياس اجابات ليكرت الخماسي

المجال	درجة الموافقة	الأهمية النسبية %
1-1.8	بدرجة ضعيفة جداً	20-36
1.81-2.60	بدرجة ضعيفة	36.1-52
2.61-3.40	بدرجة متوسطة	52.1-68
3.41-4.20	بدرجة كبيرة	68.1-84
4.21-5	بدرجة كبيرة جداً	84.1-100

المصدر: إعداد الباحث بالاعتماد على برنامج SPSS

مجتمع البحث وعينته: بلغ عدد المجتمع ٢٦٦٥٠٠ مستفيد خلال فترة توزيع الاستبيان في الربعين الأول والثاني من العام ٢٠٢٣، وقد حسبت العينة اعتماداً على جدول **Uma Sekaran** حجم العينة الممثلة، والتي يتم سحبها تبعاً لحجم المجتمع الذي ينص على انه في حال كان حجم المجتمع أكثر من ١٠٠٠٠٠ يكفي العدد 384 لتمثيل أي مجتمع. (Sekaran،٢٠١١)

استهدف البحث ١٠ مراكز (١٠%) من عدد المراكز الصحيّة في محافظة اللاذقية وهي ١١١ مركز، حيث وزع ٣٧ استمارة لكل مركز حسب الثقل النسبي لعدد المستفيدين في كل منطقة إدارية، كما هو موضح بالجدول (٢)

الجدول(٢). توزع عينة المراكز الصحيّة حسب المناطق الإدارية لمحافظة اللاذقية

المنطقة الإدارية	عدد	اسم المركز
اللاذقية	٥	الدعتور الجديد، السكنتوري، فديو، الهنادي، البهلولية
جبلة	٢	بيت ياشوط، قطيلبية
الحفة	٢	طرجانو، كفرية
القرداحة	١	سطامو

المصدر: من واقع المسح الميداني اعتماداً على بيانات مديرية صحة اللاذقية، ٢٠٢٣

تتضمن مجتمّع البحث متلقي الخدمات الصحيّة في المراكز الصحيّة الحكوميّة كمجتمّع بحث. وكون المجتمّع محدد وغير متجانس تمّ الاعتمّاد على العينة العشوائية البسيطة وعليه كانت النسبة

الأعلى في مدينة اللاذقية. ويقصد بالعشوائية أي توزيع الاستبانة بشكل عشوائي على المستفيدين التي حسبت بالاعتمّاد على القانون الآتي:

$$n1 = Z^2.p.q/d^2$$

حيث أن n_1 هو حجم العينة المبدئي، zالقيمة الجدولية تحت منحنى التوزيع الطبيعي وتساوي 1,96، P نسبة عدد المفردات التي تتوافر فيها الخاصية أو خصائص موضوع البحث، ويمكن افتراض أن : p =50%للحصول على أكبر حجم للعينة Q=1-p=1-50%=50% ، d هي درجة الخطأ المسموح بها وتساوي5%

ومن خلال التطبيق نجد أن:384 =$(0.05)^2$/(50%)(50%).$(1.96)^2$=n1

تمّ توزيع 385 استبانة كما تمّ استرداد 377 استبانة، وتمّ رفض 7 استبانات لعدم اكتمّال الإجابات، وقد بلغ العدد النهائي الخاضع للتحليل 370 (موزعة على ١٠ مراكز صحيّة)، توزعت الأربع حسب المناطق الإدارية الأربع بالمحافظة كالآتي:

الجدول(3) توزع عينة البحث على المستفيدين من الخدمات الحكوميّة في محافظة اللاذقية

المنطقة	العدد
اللاذقية	222
جبلة	71
القرداحة	52
الحفة	25
المجموع	370

المصدر: مديرية الصحّة في محافظة اللاذقية عام (2023)

النتائج والمناقشة والتحليل (الدراسة الميدانية):

أولاً: متغيرات البحث الوصفية

١- **الاستباقية والإبداع:** تم توجيه أسئلة حول بعد الاستباقية والإبداع لعينة الدراسة وكانت النتائج كالآتي:

الجدول(6) يُوضح تحليل النتائج المتعلقة ببعد الاستباقية والإبداع

تسلسل		الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	اختبار T	مستوى الموافقة	الترتيب
1	المرأة العاملة في المراكز الحكومية سباقة في تأدية الخدمات اللازمة.	3.50	0.773	13.13	مرتفعة	7
2	يمثل التفكير الدقيق والعمل الاستباقي منهجاً لعمل المرأة في المراكز الصحيّة العامة.	4.20	0.625	14.61	مرتفعة	1
3	يوجد إبداع وتميز لدى الكثير من الإناث في المراكز الصحيّة.	3.60	0.538	43.61	مرتفعة	5
4	ساهمت المرأة العاملة في قطاع الخدمات الصحيّة في إيجاد حلول مختلفة للعديد من الإشكاليات.	3.61	0.931	19.78	مرتفعة	4
5	للمرأة دور بارز في تميز العديد من الخدمات الصحيّة المقدمة في القطاع العام عن القطاع الخاص.	3.70	0.834	22.62	مرتفعة	3
6	يوجد تعاون وتفاعل كبير من قبل المرأة في المراكز الصحيّة مع الحاجات الطبية والمتزايدة للمرضى والمراجعين.	3.80	0.886	21.34	مرتفعة	2

7	يوجد التزام من قبل المرأة العاملة على الالتزام بتوقيت الاستطباب في المراكز الحكومية.	3.60	0.781	19.33	مرتفعة	6
المجموع		**3.71**	-	-	-	-

المصدر: إعداد الباحثة بالاعتماد على برنامج SPSS.

من الجدول (٦) نلاحظ أن قيمة المتوسط الحسابي للعبارات (1,2,3,4,5,6,7) تقع ضمن المجال(3.41-4.20) المقابل لشدة الإجابة مرتفعة على سلم ليكرت الخماسي. وتدل الأهمية النسبية للعبارات على الآتي:

- تتميز المرأة بتفاعلها وأسبقيتها في تقديم الخدمات عن الذكور في قطاع الخدمات الصحيّة الحكومية.
- يعد النهج الاستباقي جزء من تفكير وطريقة عمل المرأة في قطاع الخدمات الصحيّة.
- تتميز الكثير من الإناث العاملات بقطاع الخدمات الصحيّة الحكومية بالتميز والإبداع في تقديم الخدمات.
- تؤدي المرأة العاملة في قطاع الخدمات الصحيّة الحكومية دوراً هاماً في تميز خداماته ومنتجاته عن القطاع الخاص في الكثير من الأحيان.
- تفاعل المرأة العاملة في قطاع الخدمات الصحيّة مرتفع مع تزايد الطلب والحاجات لخدمات صحيّة، وتتميز بقدرتها على العمل تحت ضغط وظروف العمل الصعبة.
- التزام المرأة مرتفع وتلبيتها عالية بمدار اليوم لتقديم الخدمات الصحيّة بالوقت اللازم في المراكز الصحيّة.

كما أن المتوسط الحسابي لبعد الاستباقية والإبداع 3.71 الذي يقع ضمن المجال (3.41-4.20) المقابل لشدة الإجابة كبيرة، ويزيد عن متوسط المقياس المقابل لمتوسط تدرجات سلم ليكرت (3).

كما يتبين أن السؤال (2) الذي ينص على يمثل التفكير الدقيق والعمل الاستباقي منهجاً لعمل المرأة في المراكز الصحيّة العامة كان في الترتيب الأول من حيث الأهمية لعينة الدراسة، في حين كان السؤال (6) الذي ينص يوجد تعاون وتفاعل كبير من قبل المرأة في المراكز الصحيّة مع الحاجات الطبية والمتزايدة للمرضى والمراجعين في المركز الثاني من حيث الترتيب. وأخيراً كان السؤال (1) الذي ينص على المرأة العاملة في المراكز الصحية سباقة في تأدية الخدمات اللازمة.

وبالنظر لقيمة T المحوسبة المبينة في الجدول السابق نلاحظ أن قيمها لكافة الأسئلة أعلى من قيمها الجدولية، وهذا يعني أنه يوجد زيادة ذات دلالة إحصائية في متوسطات إجابات أفراد العينة عن الدرجة الحيادية.

٢- **المراكز الصحيّة الحكومية:** تم توجيه مجموعة من الأسئلة حول بعد المراكز الصحيّة الحكومية لعينة الدراسة وكانت النتائج كالآتي:

الجدول(٧) يُوضح تحليل النتائج المتعلقة ببعد المراكز الصحيّة الحكومية

تسلسل		الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	اختبار T	مستوى الموافقة	الترتيب
1	تتميز المراكز الصحيّة الحكومية بالقدرة على تقديم خدمات طبية متنوعة ومتكاملة.	3.00	0.818	17.77	متوسطة	6
2	تتوفر التجهيزات والأدوية اللازمة في المراكز الصحيّة بشكل دائم.	3.19	0.719	11.23	متوسطة	3
3	يلتزم العاملين بالمراكز الصحيّة بتوقيت دواهم.	2.89	0.982	27.54	متوسطة	7
4	تشكل الإناث النسبة الأكبر من العاملين في	4.00	0,746	17.81	مرتفعة	1

	المراكز الصحيّة الحكومية.					
5	يوجد اهتمام وتفاعل مرتفع من قبل الإناث العاملات بالمراكز الصحيّة مع حاجات المرضى.	3.59	0.889	19.91	مرتفعة	2
6	ساهمت المراكز الصحيّة بشكل كبير في الحد من أثر جائحة كورونا.	3.09	1.124	33.56	متوسطة	4
7	يوجد رضا عن الخدمات الصحيّة المقدمة في المراكز الصحيّة.	3.00	0.669	22.37	متوسطة	5
المجموع		**3.25**	-	-	-	-

المصدر: إعداد الباحثة بالاعتماد على برنامج SPSS.

من الجدول (7) نلاحظ أن قيمة المتوسط الحسابي للعبارات (4,5) تقع ضمن المجال(3.41-4.20) المقابل لشدة الإجابة مرتفعة على سلم ليكرت الخماسي. في حين كانت قيمة المتوسط الحسابي للعبارات (1,2,3,6,7) تقع ضمن المجال (3.40-2.61) المقابل لشدة الإجابة متوسطة على مقياس ليكرت الخماسي. وتدل الأهمية النسبية لتلك العبارات على الآتي:

- قدرات وإمكانيات المراكز الصحيّة متوسطة، ولا تلبي رغبات وطموح المواطنين.
- لا تتوفر التجهيزات والمعدات اللازمة للاستطباب المتنوعة والادوية في معظم المراكز الصحيّة الحكومية.
- لا يوجد التزام من قبل الموارد البشرية العاملة في أغلب المراكز الصحيّة بأماكن وتوقيت عملهم.
- نسبة الإناث مرتفعة جداً في الكثير من المراكز الصحيّة الحكومية.

- تفاعل المرأة العاملة في المراكز الصحيّة مرتفع ضمن الإمكانات الموجودة مع حاجات المرضى.
- دور المراكز الصحيّة كان محدود في مواجهة أزمة جائحة كورونا وتداعياتها.
- الرضا متوسط عن عمل المراكز الصحيّة الحكومية ضمن الأوضاع الحالية التي تمر بها البلاد.

كما أن المتوسط الحسابي لبعد المراكز الصحيّة العامة 3.25 الذي يقع ضمن المجال التالي (2.61-3.40) المقابل لشدة الإجابة متوسطة، ويزيد عن متوسط المقياس المقابل لمتوسط تدرجات سلم ليكرت (3).

كما يتبين أن السؤال (4) الذي ينص على تشكل الإناث النسبة الأكبر من العاملين في المراكز الصحيّة الحكومية كان في الترتيب الأول من حيث الأهمية لعينة الدراسة، في حين كان السؤال (5) الذي ينص يوجد اهتمام وتفاعل مرتفع من قبل الإناث العاملات بالمراكز الصحيّة مع حاجات المرضى في المركز الثاني من حيث الترتيب. وأخيراً كان السؤال (3) الذي ينص يلتزم العاملين بالمراكز الصحيّة بتوقيت دواهم.

وبالنظر لقيمة T المحوسبة المبينة في الجدول السابق نلاحظ أن قيمها لكافة الأسئلة أعلى من قيمها الجدولية، وهذا يعني أنه يوجد زيادة ذات دلالة إحصائية في متوسطات إجابات أفراد العينة عن الدرجة الحيادية.

ثانياً: اختبار فرضيات البحث

اختبار الفرضية الأولى: لا يوجد فروق جوهرية ذات دلالة إحصائية بين الإبداع والاستباقية في قطاع الخدمات المقدمة في المراكز الصحيّة المتوفرة والواجب توافرها على مستوى ٠,٠٥%. لاختبار الفرضية تمّ حساب المتوسط الحسابي العام واختبار معنويته، كما بالجدولين الآتيين:

الجدول (٨) يُوضح نتائج اختبار One-Sample الاستباقية والإبداع

One-Sample Statistics

	N	Mean	Std. Deviation	Std. Error Mean
الاستباقية والإبداع	370	3.7147	1.12847	.05867

المصدر: إعداد الباحثة بالاعتماد على برنامج SPSS

الجدول (٩) يُوضح نتائج احصاءات One-Sample الاستباقية والإبداع

One-Sample Test

	Test Value = 3					
	T	Df	Sig. (2-tailed)	Mean Difference	95% Confidence Interval of the Difference	
					Lower	Upper
الاستباقية والإبداع	12.182	369	.000	.71467	.5993	.8300

المصدر: إعداد الباحثة بالاعتماد على برنامج SPSS.

يبين الجدولين(٨-٩): أنّ قيمة الوسط الحسابي العام لعبارات لبعد الاستباقية والإبداع حسب عينة الدراسة قد بلغ 3.71 تزيد عن الوسط المقياس (3)، وبفرق معنوي بلغ (0.71467)، وتقع ضمن المجال (4.20- 3.41)، وتقابل شدة الإجابة مرتفعة على مقياس ليكرت. وبما أنّ احتمال الدلالة$P=0.000< \alpha=0.05$، فإنه يتم رفض الفرضية الأولى وقبول الفرضية البديلة التي تنص على: يوجد فروق جوهرية بين الاستباقية والإبداع في قطاع الخدمات المقدمة في المراكز الصحية المتوفرة والواجب توافرها.

أي يتوفر درجة عالية من الاستباقية والإبداع للمرأة العاملة في قطاع الخدمات الصحية وفقاً للظروف الراهنة إلا أن الابداع لا يرقى الى سوية الابداع الواجب توافره في الدول المتقدمة لاختلاف ظروف وبيئة العمل.

اختبار الفرضية الثانية: لا يوجد فروق جوهرية ذات دلالة احصائية بين واقع المراكز الصحيّة المتوافرة والواجب توافرها على مستوى ٠,٠٥%.

الجدول (10) يُوضح نتائج اختبار One-Sample للمراكز الصحيّة الحكومية

One-Sample Statistics

	N	Mean	Std. Deviation	Std. Error Mean
المراكز الصحيّة	370	3.2533	1.29446	.06730

المصدر: إعداد الباحثة بالاعتماد على برنامج SPSS

الجدول(١١) يُوضح نتائج احصاءات One-Sample للمراكز الصحيّة الحكومية

One-Sample Test

	Test Value = 3					
	T	Df	Sig. (2-tailed)	Mean Difference	95% Confidence Interval of the Difference	
					Lower	Upper
المراكز الصحيّة	3.764	369	.000	.25328	.1210	.3856

المصدر: إعداد الباحثة بالاعتماد على برنامج SPSS.

يبين الجدولين**(11-10):** أنّ قيمة الوسط الحسابي العام لعبارات لبعد المراكز الصحيّة الحكومية حسب عينة الدراسة قد بلغ 3.25 تزيد عن الوسط المقياس (3)، وبفرق معنوي بلغ (0.25328)، وتقع ضمن المجال (2.61-3.40)، وتقابل شدة الإجابة متوسطة على مقياس ليكرت. ووجود مساهمة متوسطة للمرأة وبما أنّ احتمال الدلالة $P=0.000< \alpha=0.05$، فإنه يتم رفض الفرضية الثانية وقبول الفرضية البديلة التي تنص على: يوجد فروق جوهرية بين واقع المراكز الصحيّة المتوافرة محل البحث والواجب توافرها.

الأمر الذي يبين وجود فروقات في واقع المراكز الصحيّة في ويعود ذلك لاختلاف عدد كل من الكوادر البشرية سواء العاملة او المستفيدة، وتوافر التجهيزات والمعدات الطبية ضمنها، وهذا ما

يوكد على ضرورة العمل لرفع سويّة الأطر البشرية الصحيّة، وإعادة توزيعها بما يخدم تنمية قطاع الخدمات الصحيّة المقدمة.

الفرضية الثالثة: لا يوجد أثر ذو دلالة احصائية لاستباقية وإبداع المرأة في تحسين واقع قطاع الخدمات المقدمة في المراكز الصحيّة في محافظة اللاذقية على مستوى ٠,٠٥%.

جدول(١٢) تحليل الانحدار بين الاستباقية والإبداع وتحسين الخدمات في المراكز الصحيّة

Model Summary

Model	R	R Square	Adjusted R Square	Std. Error of the Estimate
1	.945[a]	.892	.892	.38023

a. Predictors: (Constant), الاستباقية والإبداع

المصدر: إعداد الباحثة بالاعتماد على برنامج SPSS.

جدول(١٣) معلمات الانحدار لأثر الاستباقية والإبداع في تحسين الخدمات في المراكز الصحيّة

Coefficients[a]

Model		Unstandardized Coefficients		Standardized Coefficients	T	Sig.
		B	Std. Error	Beta		
1	(Constant)	-.186-	.068		-2.737-	.007
	الاستباقية والإبداع	.968	.018	.945	55.213	.000

a. Dependent Variable: قطاع الخدمات الصحيّة

المصدر: إعداد الباحثة بالاعتماد على برنامج SPSS.

من الجداول السابقة أن نموذج الانحدار، معنوي ويدل على وجود علاقة ارتباطية طردية وقوية جداً بين المتغيرات المذكورة، حيث بلغت قيمة معامل التحديد المصحح(0.892)، وهي تفسر أن 89% من التغيرات في الحاصلة في قطاع الخدمات الصحيّة تعود إلى الاستباقية والإبداع.

كما إن قيمة الاحتمال $P=0.000< \alpha=0.05$ وبالتالي الارتباط معنوي. ومنه نرفض الفرضية الثالثة ونقبل الفرضية البديلة التي تنص على: يوجد أثر ذو دلالة احصائية لاستباقية وإبداع المرأة في تحسين واقع قطاع الخدمات المقدمة في المراكز الصحيّة في محافظة اللاذقية.

ترى الباحثة أن التغيرات الحديثة التي طرأت على المجتمع، منها التغير التكنولوجي والإيدلوجي الذي يعّد دخول المرأة ميدان العمل أساساً لبناء المجتمع السليم، كما أن الحرب التي أجبرت المرأة للخروج إلى العمل، وفرضت عليها الكثير من الأعباء لتكون الحاضرة والسباقة استجابة لتلبية الاحتياجات للخدمات الصحيّة المقدمة في المراكز الصحيّة، كما ان لاستباقية وإبداع المرأة الأثر الكبير في تحسين واقع قطاع الخدمات الصحيّة في محافظة اللاذقية.

نتائج البحث

النتائج المتعلقة بالاستباقية والإبداع:

- تتميز المرأة بتفاعلها وأسبقيتها في تقديم الخدمات عن الذكور في قطاع الخدمات الصحيّة الحكومية.
- يعد النهج الاستباقي جزء من تفكير وطريقة عمل المرأة في قطاع الخدمات الصحيّة.
- تتميز الكثير من الإناث العاملات بقطاع الخدمات الصحيّة الحكومية بالتميز والإبداع في تقديم الخدمات.
- تلعب المرأة العاملة في قطاع الخدمات الصحيّة الحكومية دور هام في تميز خداماته ومنتجاته عن القطاع الخاص في الكثير من الأحيان، فالتزام المرأة مرتفع وتلبيتها عالية على مدار اليوم لتقديم الخدمات الصحيّة بالوقت اللازم في المراكز الصحية.
- تفاعل المرأة العاملة في قطاع الخدمات الصحيّة مرتفع مع تزايد الطلب والحاجات لخدمات صحيّة، وتتميز بقدرتها على العمل تحت ضغط وظروف العمل الصعبة.

- إن المتوسط الحسابي لبعد الاستباقية والإبداع 3.71 الذي يقع ضمن المجال (3.41-4.20) المقابل لشدة الإجابة كبيرة، ويزيد عن متوسط المقياس المقابل لمتوسط تدرجات سلم ليكرت (3).

النتائج المتعلقة بالمراكز الصحيّة العامة:

- قدرات وإمكانيات المراكز الصحيّة متوسطة، ولا تلبي رغبات وطموح المواطنين، ولا تتوفر التجهيزات والمعدات اللازمة للاستطباب المتنوعة والادوية في معظم المراكز الصحيّة الحكومية.
- لا يوجد التزام من قبل الموارد البشرية العاملة في أغلب المراكز الصحيّة بأماكن وتوقيت عملهم.
- نسبة الإناث مرتفعة جداً في الكثير من المراكز الصحيّة الحكومية، وتفاعل المرأة العاملة في المراكز الصحيّة مرتفع ضمن الإمكانات الموجودة مع حاجات المرضى.
- دور المراكز الصحيّة كان محدود في مواجهة أزمة جائحة كورونا وتداعياتها.
- الرضا متوسط عن عمل المراكز الصحيّة الحكومية ضمن الأوضاع الحالية التي تمر بها البلاد.
- إن المتوسط الحسابي لبعد المراكز الصحيّة العامة 3.25 الذي يقع ضمن المجال التالي (2.61-3.40) المقابل لشدة الإجابة متوسطة، ويزيد عن متوسط المقياس المقابل لمتوسط تدرجات سلم ليكرت (3).

النتائج المتعلقة باختبار الفرضيات:

- يوجد فروق جوهرية ذات دلالة احصائية بين متوسط الإجابات حول الاستباقية والإبداع في قطاع الخدمات المقدمة في المراكز الصحيّة المتوفرة والواجب توافرها على مستوى ٠,٠٥%.
- يوجد فروق جوهرية ذات دلالة احصائية بين متوسط إجابات أفراد العينة حول واقع المراكز الصحيّة المتوافرة والواجب توافرها على مستوى ٠,٠٥%.

- يوجد أثر ذو دلالة احصائية لاستباقية وإبداع المرأة في تحسين واقع الخدمات المقدمة في المركز الصحيّة في محافظة اللاذقية على مستوى ٠,٠٥%.

المقترحات:

- دعم الأفكار المبدعة التي تقدمها المرأة العاملة في قطاع الخدمات الصحيّة.
- تحفيز مفاهيم الاستباقية في تقديم الخدمات من خلال تحفيز المرأة العاملة بطرق مختلفة.
- إعادة توزيع القوى العاملة بما يتناسب مع الحاجة الفعلية للمراكز الصحيّة.
- التركيز على دور المرأة الأساسي في قطاع الخدمات الصحيّة في كافة الأقسام والدوائر.
- تحديد الحاجة من العمالة حسب الجنس في كل مشفى ومركز صحي.
- زيادة الاهتمام بعملية التدريب وتطوير المهارات الابداعية وبناء القدرات الاستباقية.
- الاعتماد على مقاييس حديثة في تقييم أداء العاملات في قطاع الخدمات الصحيّة.
- تحفيز العاملات المبدعات مادياُ ومعنوياً.
- التأكيد على دعم الأفكار المتميزة والإبداعية لحل المشكلات.
- التأكيد على تحسين الاستجابة وسرعة تقديم الخدمات للمراجعين في قطاع الخدمات الصحيّة.
- تأكيد أهمية المناخ التنظيمي، والعمل على تعزيز الجوانب الإيجابية فيها ومعالجة السلبية، لما لذلك من دور كبير في تعزيز السلوك الإبداعي الاستباقي للعاملين.

قائمة المصادر والمراجع:

Abbas, Alaa 2015- **Entrepreneurship and Small Enterprises**. Egypt: Higher Education House, p7.

Abido, Mohammed- 2007 **Introduction to Health Economic Planning**. Damascus: Publications of the Ministry of Culture, p. 192.

Abu Hamdan, Majid Milhem. 2014 Activating the Role of Syrian Arab Women in the Comprehensive Development Process, **Damascus University Journal**. Volume (30), Issue.
(٢)

Abu Shama, Fadia. 2015- **The Role of Intellectual Capital in Achieving Competitive Advantage: An Applied Study in Southern West Bank Hospitals**, p23.

Al-asfer , Ahmed 2005- **The Impact of the Standard of Living of the Family on the Social Meanings of Women's Work**, Social Affairs, Sociologists Association and the American University, p. 12.
Iman, Leqmash Nour, Delilah, Trigge 2022 The Impact of Proactive and Preventive Coping Strategies on Achieving Self-Well-Being among the Elderly, **Journal of Educational and Educational** Research, Vol. 11, No. 2, pp. 269-286.

Awja, Azhar Murad. 2018- Proactive personality and its reflection in the creative performance of workers An exploratory study of the opinions of a sample of nursing staff working at the Middle Euphrates Hospital in Najaf Al-Ashraf, Middle Euphrates Technical University, Technical Institute, Kufa, **Journal of Administration and Economics** , Issue 25 ,Volume 7.

Bahri, Nur Asef 2020- **Using Waiting Lines to Improve Health Services (A Comparative Study between Public and Private Hospitals in Latakia. Governorate).** Thesis prepared for obtaining a master's degree in economics with a specialization in statistics and programming in the

Department of Statistics and Programming.

Badran, Samah Mahmoud 2015- **Developing Human Resources Management Skills to Develop the Effectiveness of Organizational Commitment of Employees: An Applied Study on the Personnel Sector at Benha University"**, Unpublished Master's Thesis, Faculty of Commerce, Benha University.

Comprehensive Dictionary of Meanings, 2022.

https://www.almaany.com.

Czaze, Lev Hashem; Rezake star terf 2016 The Role of Women in Social Services: An Applied Study on the City of Kut, Lark for Philosophy, **Linguistics and Social Sciences**, Issue Twenty-two, p142-143.

Central Bureau of Statistics: **Statistical Collections**(٢٠١٩-٢٠٢٠- ٢٠٢١).

Charf, Nassima. 2011- **Total Quality Management Standards as a Support for the Quality of Hospital Services (Case Study: Public Hospital Institution Amirat Slimane),** Supplementary Note to Complete a Master of Science in Commercial Sciences. Kasdi Merbah University of Ouargla.

Groge, Alia Badie -2018 **The impact of women's work on the standard of living of the family, a field study in Lattakia Governorate,** Tishreen University, Faculty of Economics: Department of Statistics, Population and Development Specialization.

Kazem Salman, Riyadh- 2014 **Efficiency of Spatial Distribution of Community Services in Karbala City**. PhD thesis. College of Education, Ibn Rushd: University of Baghdad, p22.

Khalil, Sharafuddin. 2013**- Descriptive and Applied Statistics**, Economic Research and Studies Network.

Al-Khayyat, Mohammed 2019- **Fundamentals of Total and Qualitative Research**, Amman: Dar Al-Raya for Publishing, p. 22.

health institutions from the point of view of patients - a field study in public health institutions in the city of Constantine. Algeria: Abbas Laghrour Khenchela University.

,Lutaf allah, Jamal -2015 **Administrative Creativity**, Dar Osama for Publishing and Distribution.

Marzouq, Rania Shaaban Al-Sayem ; Galal ,Haitham Naji Abdel Hakim 2024, Modeling causal relationships between proactive personality, professionalism, compassion fears and ethical leadership among teachers of students with disabilities. **Journal of the College of Education. Tanta University**, Volume 90 https://mkmgt.journals.ekb.eg.

Mahrous, Mohamed Anwar; Abdel Salam, Inas Zakaria; Hegazy, Sabah Shaaban, 2016, The role of the environment in developing a culture of creativity among primary school students**. Journal of Environmental Studies and Researches,** 6(1): 8-14.

Al-Mahyawi, Sarmad Ismail Khalil 2021 Strategic leadership and its role in achieving competitiveness in industrial facilities: A field study in Bashir Al-Siksik & Partners Company for the manufacture of sanitary and plastic ware in the Gaza Strip. **Journal of Accounting and Financial Studies (JAFS), Second International Scientific Conference and Fourth National Science**. Leadership and creativity in building financial and accounting policies in economic units, p110.

Saad , Noha Awad Rashid 2016- **The Role of Creative Leadership in Improving the Level of Organizational Culture in the Palestinian Ministry of Health**, Thesis submitted to complete the requirements for obtaining a master's degree in "Leadership and Management", Academy of Administration and Policy for Graduate Studies and Al-Aqsa University.

Al-Shammari, Ahmed Abdullah, Qandil, Ahmed Muhammad Reda, Al-Awj, Nibras Kazem Abed, and Al-Tarfi, Alaa Hussein Fadel .2020-"The Role of Smart Organization Characteristics in Enhancing Entrepreneurial Preparedness by Adopting Proactive Work Behaviors", **Iraqi Journal of Administrative** Sciences, Vol. 15, No. 6.

Al-Tamimi, Hussein Khalil Saeed 2020- **"Strategic Planning for Human Resources as an Approach to Enhancing the Proactive Work Behavior of Security Service Providers,"** Master Thesis, College of Administration

and Economics, University of Karbala
Unpublished data, Directorate of Health in Latakia City, Statistics Division, 2023.
Zuzu, Fatima Zahra 2011- **The Role of Service Quality in Achieving Customer Satisfaction (Case Study of Diaa Clinic in Ouargla)**, Memorandum submitted within the requirements for obtaining a master's degree, Kasdi Merbah University in Ouargla, Faculty of Economic, Commercial and Management Sciences, Algeria.

Reference

- Chandrakumara, Gsa. Pathmini, Mgs. (2015). **Service Quality (SQ) and its Impact on Passenger Satisfaction in Sri Lanka Railway Transport Service (SLRTS)**; Special Reference to Anuradhapura Railway Station. International Research Symposium, Rajarata University of Sri Lanka, Srilanka.

-Chang, S., Jia, L., Takeuchi, R., & Cai, Y. (2014). Do high-commitment work systems affect creativity? A multilevel combinational approach to employee creativity, ***Journal of Applied Psychology,*** *99*(4), 665-680. http://dx.doi.org/10.1037/a0035679

-Farooq, Naveed &S.Tufail Khalil&Muhammad Tufail(2019) How Proactive Personality Influences Organizational Citizenship Behavior: The Mediating Roles of Organizational Commitment and Leader Member Exchange N**UML International Journal of Business & Management,** Vol. 14, No:1.

-Grant, A. M., & Ashford, S. J. (2008). The dynamics of proactivity at work. In L. L. Cummings & B. M. Staw (Eds.), ***Research in Organizational Behavior***, (Vol. 28, pp. 3–34).

-Garcia-Juna.B, Escrig-Tena.A& Segarra-Ciprés.M, (2020). Employees' proactive behavior and innovation performance: Examining the moderating role of informal and formal controls, ***European Journal of Innovation Management***, Issue 5. 22.

-"**Innovation, Creativity and the Gender Gap**", www.wipo.int, Retrieved 4-6-2020.

-Hermann, D. and Felfe, J. (2014). 'Effects of leadership style, creativity technique and personal initiative on employee creativity'**, *British Journal of Management,*** 25(2), 209–227.

-Reis, Sally .(2020)."**Internal Barriers, Personal Issues & Decisions Faced by Gifted and Talented Females**" ،gifted.uconn.edu.

-Shin, Y. and Kim, M.J. (2015). 'Antecedents and mediating mechanisms of proactive behavior: application of the theory of planned behavior'**, *Asia Pacific Journal of Management,*** 32: 1, 289–310.
-Thomas K. Kelemen Samuel H. Matthews, Xin-an Zhang, Bret H Bradley, Huihua Liu. (2020). **When does gender diversity enhance team performance? The dual need for transformational leadership and team tenure**, Journal of Applied Social Psychology 50(9).
-Poon, A. (2015) I**nnovation and the future of Caribbean tourism, in Gayle, D.J.& Goodrich**, J.N (Eds.) *Tourism Marketing and Management in the Caribbean*, New-York: Routledge,p33.
- Who: world health organization, (2020).

-World Health Organization, (2009). **Health and Women; Today's Evidence Tomorrow's Agenda.** WHO Library Cataloguing-in-Publication Dat.

-**Women's Empowerment Principles- Equality Means Business**, United Nation: Global Compact, 2011, p13.

-Wu, C. H., & Parker, S. K. (2014). Proactivity in the workplace: looking back and looking forward (pp. 84-96). ***Oxford University Press.***

ملاحق

ملاحظات حول الاستمارة

١- إن الأسئلة في الاستمارة ستستخدم للأغراض العلمية فقط.
٢- إن كل ما يرد في هذه الاستمارة من معلومات سيبقى سرياً ولن يسمح لأحد بالإطلاع عليه إلا للمهتمين بالبحث العلمي.
٣- يرجى الإجابة بموضوعية وصراحة عن هذه الأسئلة بما فيه خير للبحث العلمي وخدمة لنتائجه التي تنعكس على المجتمع والعلم وحتى لا تضيع الجهود المبذولة هدراً.
٤- يرجى تضع علامة (✓) أمام العبارة في الحقل المناسب والذي يعبر عن رأيك بكل صدق وأمانة.

أولا –بيانات شخصية:

اسم المركز الصحيّ	.....
الجنس	□ ذكر □أنثى

ثانياً–الأسئلة:

القسم الأول: المتعلقة ببعد الاستباقية والإبداع

تسلسل	السؤال	الجواب				
		موافق بشدة	موافق	لا رأي (محايد)	غير موافق	غير موافق بشدة
1	المرأة العاملة في المراكز الحكومية سباقة في تأدية الخدمات اللازمة.					
2	يمثل التفكير الدقيق والعمل الاستباقي منهجاً لعمل المرأة في المراكز الصحيّة العامة.					
3	يوجد إبداع وتميز لدى الكثير من الإناث في المراكز الصحيّة.					
4	ساهمت المرأة العاملة في قطاع الخدمات الصحيّة في إيجاد حلول مختلفة للعديد من الإشكاليات.					
5	للمرأة دور بارز في تميز العديد من الخدمات الصحيّة المقدمة في القطاع العام عن القطاع الخاص.					
6	يوجد تعاون وتفاعل كبير من قبل المرأة في المراكز الصحيّة مع					

	الحاجات الطبية والمتزايدة للمرضى والمراجعين.					
7	يوجد التزام من قبل المرأة العاملة على الالتزام بتوقيت الاستطباب في المراكز الصحية.					

القسم الثاني: المتعلقة ببعد المراكز الصحيّة الحكومية

تسلسل	السؤال	الجواب				
		موافق بشدة	موافق	لا رأي (محايد)	غير موافق	غير موافق بشدة
1	تتميز المراكز الصحيّة الحكومية بالقدرة على تقديم خدمات طبية متنوعة ومتكاملة.					
2	تتوفر التجهيزات والأدوية اللازمة في المراكز الصحيّة بشكل دائم.					
3	يلتزم العاملين بالمراكز الصحيّة بتوقيت دواهم.					
4	تشكل الإناث النسبة الأكبر من العاملين في المراكز الصحيّة الحكومية.					
5	يوجد اهتمام وتفاعل مرتفع من قبل الإناث العاملات بالمراكز الصحيّة مع حاجات المرضى.					
6	ساهمت المراكز الصحيّة بشكل كبير في الحد من أثر جائحة كورونا.					
7	يوجد رضا عن الخدمات الصحيّة المقدمة في المراكز الصحيّة.					

إدارة البحث تشكر جهودكم

((رحلة محمد بن تومرت إلى المشرق الأسباب والنتائج))

((Mohammed Bin Tomert's Trip to The West Causes and Results))

إعداد الطالب: موسى محمد السلوم

المشرف العلمي: أ.د. بسام العلوش
المشرف المشارك : أ.م.د. أحمد الدالي

ملخص البحث

تناول البحث الحديث عن رحلة محمد بن تومرت إلى المشرق الأسباب والنتائج. كما تحدث عن أسباب الرحلة إلى المشرق، ثم ألقى الضوء عن أسباب حرص المغاربة على زيارة المشرق، وتم الحديث عن رحلة محمد بن تومرت إلى المشرق ولقائه للإمام أبي حامد الغزالي والإمام أبو بكر الطرطوشي، والأثر العلمي الذي حصل عليه خلال ذلك.

كما تناول البحث الحديث عن مسير عودته من رحلته، وبيان أثر الرحلة العلمي في شخصيته، ويضاف إلى ذلك الحديث عن وفاته.

Abstract

The research on Mohammed bin Tomert's trip to Mashreq addressed the causes and results. He also spoke about the reasons for the trip to Mashreq, and then highlighted the reasons why Moroccans were keen to visit Mashreq. Mohammed bin Tomert's trip to Mashreq and his meeting with Imam Abiy Hamid al-Ghazali and Imam Abu Bakr al-Tartouchi, and the scientific impact he received during that time.

The research also dealt with the trajectory of his return from his journey, and demonstrated the impact of the scientific journey on his character, in addition to the talk about his death.

● - مقدمة:

إذا كان كل بحث يلزم صاحبه بتقديم دلالات الاشتغال فيه دون سواه، فثمة من الحوافز والمبررات العلمية ما يجعل من« **رحلة محمد بن تومرت إلى المشرق الأسباب والنتائج**» موضوعاً جديراً بالتناول من الناحية التاريخية، بالنظر إلى التطورات النوعية التي عرفها البحث التاريخي المغربي موضوعاً ومنهجاً ورؤية.

وفي سبيل التعريف بصدد هذا الموضوع، يجدر بالبحث أن يطرح بعض الأسئلة المنهجية التي تسهم في إضاءة بعض جوانب الموضوع والإحاطة به شكلاً ومضموناً. ايماناً بأن أي بحث علمي، في أي معرفة، يتطلب جمع المعطيات، وضبط المفاهيم وتحديد الأهداف ورسم الغايات، وذلك حتى يستوي العمل على سوقه ويؤتي ثماره.

فما أهمية الاشتغال على رحلة محمد بن تومرت؟ وما حظها من الدراسة؟ ما هي إشكالاتها؟

تتجلى القيمة المعرفية للموضوع الذي تم اختياره عنواناً للدراسة بكونه يندرج في صميم البحث والتنقيب في حياة المجتمعات القديمة والكشف عن صيرورتها وحياتها اليومية في شأن الاقتصاد والاجتماع والثقافة وهي الجوانب التي شكلت معالمه التاريخية وأثرت في فصول أحداثه.

ومن الملاحظ أن الموضوع المختار كما سيتبين ينتمي في مجاله إلى المغرب الإسلامي ويؤطره زمان يدخل في إصلاح التحقيب الزمني في نهاية الحقبة الوسطى.

كما أن اختياره أتى في إطار الاهتمام بتاريخ المغرب والعصر الوسيط الذي وقف على بعض قضاياه وإشكالاته خلال مرحلة الدراسة.

ولا يخفى على المتخصصين في تاريخ المغرب الإسلامي مدى الأهمية التي تشكلها البنى التحتية للمجتمعات في الكشف عن تجليات التاريخ السياسي والثقافي والذهني لذلك المجال المتسع مكاناً وزماناً.

وهذا التوجه المنهجي الذي حرص البحث على جعله مفتاحاً للموضوع يحمل على عاتقه مهمة استجلاء الأدوار التي شغلتها رحلة محمد بن تومرت والتي أسهمت في توضيح بعض من المعالم الأثرية في المغرب خلال الحقبة قيد الدراسة، إلى جانب الدراسة المشتغل عليها.

وليس هناك حاجة إلى الإدلاء بالكثير من التفاصيل بخصوص مسوغات اختيار الحقبة الزمنية الممتدة منتصف القرن السادس / الثاني عشر الميلادي حيزاً للدراسة، إذ من المعلوم أن امتداد هذه الفترة يغطي مرحلة من تاريخ العصر الوسيط.

والملاحظ أن طبيعة الموضوع قد تبعد كثيراً عن الاهتمام بالتاريخ العسكري الذي طغى على تاريخ الحقبة والمتميز مثلما هو معروف بالصراعات التي دارت فيما بين القبائل في الداخل أو بين القوى الطامحة إلى قيادة المنطقة في الخارج، ولا سيما بعد تراجع الخلافة العباسية وما تلا ذلك من نتائج أسفرت عليها بعدّها نقلة نوعية آذنت بتمزق كبير في الجسم السياسي في المغرب وأدت إلى ظهور زعامات سياسية تنازعت على تركت الخلافة العباسية في المغرب، وهو ما أدخل المنطقة كلها بما فيها حوض البحر الأبيض المتوسط في حسابات مصلحية زادت من حدتها، المشاكل الداخلية من ثورات وهجرات ونزوح موجات بشرية وأوبئة، أثرت في مختلف الأنشطة الاقتصادية المزاولة وعرّضت المنطقة برمتها إلى مزيد من التهديدات والتحرشات الخارجية.

ومن الطبيعي أن ينعكس الوضع العام داخل المغرب، حيث ظلت المنطقة تقاوم من أجل البقاء مستفيدة من توافر بعض المقومات وبعض الظروف المساعدة.

وتبقى الإشارة إلى أن الموضوع الذي وقع عليه اختيار الباحث عنواناً لهذه الدراسة لم يبلغ إلى حدود علمنا أنه شكل اهتماماً مركزياً لأي عمل أو بحث أكاديمي خلال الفترة المبحوث فيها، اللهم إذا استثنينا بعض الأعمال التي احتوت بعض مباحثها أو فصولها على جزء أو إشارة لموضوع رحلة محمد بن تومرت الأسباب والنتائج ولكن في سياق التاريخ العام.

وإيماناً بأهمية السؤال في انتاج المعرفة، وتوليد المعاني، وإيجاد الدلالات للأشياء، مما يعني فتح منافذ وعوالم ممكنة للبحث، فقد وضع الباحث مجموعة من التساؤلات عدّها مفيدة في الإجابة على قضايا الموضوع وإشكالاته الرئيسية.

فما التمثلات الذهنية والفكرية لموضوع «رحلة محمد بن تومرت الأسباب والنتائج» في الفكر العربي الإسلامي؟ وهل « لنذرة » المقومات داخل المجال الطبيعي في المغرب أثر في عدم الاهتمام المتواصل بمثل هذه الموضوع؟ ثم هل يسمح لنا تاريخ المرحلة أن نتحدث عن أسباب الرحلة؟ ومن هم العلماء الذين أخذ عنهم في المشرق؟ وماهي أهم العوامل التي ساعدت على نجاح هذه الرحلة ؟ وهل تمكن محمد بن تومرت من تغيير المنكرات في البلاد التي كان يحل بها؟

ولما كانت المعرفة تبدأ بالسؤال، فإن طبيعة الموضوع استلزم التنقيب في مختلف المصادر لإيجاد الأجوبة الشافية عن تلك التساؤلات الافتراضية التي قد تسهم في بناء الموضوع بناءً سليماً.

إشكالية البحث:

يطرح البحث العديد من الإشكالات أهمها: أسباب الرحلة إلى المشرق في الدراسات الحديثة؟ وما هي أسباب حرص المغاربة على الرحلة إلى المشرق؟ هل استفاد محمد بن تومرت أثناء رحلته في المشرق؟ وما هي البلدان التي زارها محمد بن تومرت في طريق العودة؟ ولماذا خرج محمد بن تومرت من الإسكندرية؟ وما هي الأسباب التي جعلته يترك دروس الإمام أبو بكر الطرطوشي؟

أهمية البحث:

إن مجالات الدراسة التاريخية في تاريخ المغرب العربي الإسلامي لاتزال خصبة لا تنضب وتتيح الفرصة لمزيد من الأقلام لتبرز النشاطات الفكرية والحضارية الواسعة النطاق وعلى الرغم من كثرة الدراسات التاريخية التي تبحث في تاريخ المغرب العربي الإسلامي وشموليته للعديد من المواضيع فإن ما كتب حول موضوع رحلة محمد بن تومرت إلى المشرق الأسباب والنتائج لا يعدو كونه إشارات وإيحاءات منتشرة ومتفرقة في بطون بعض الكتب التي كتب لها البقاء.

ومن خلال هذا البحث سيتم الكشف عن أهمية هذه الرحلة وستكون هذه الدراسة اسهام جديد في حقل الدراسات التاريخية في تاريخ المغرب الإسلامي .

الهدف من البحث:

غاية البحث توضيح أسباب الرحلة ونتائجها وكما سوف يوضح لقاء محمد بن تومرت مع الإمام أبي حامد الغزالي والإمام الطرطوشي كما سوف يقف البحث على الإجراءات التي اتخذها محمد بن تومرت من أجل التخلص من الدولة المرابطية.

منهج البحث:

لقد اعتمد البحث على المنهج الوصفي الاستقرائي وتحليل النصوص التاريخية المستقاة من مصادر مختلفة، الذي يعتمد على وصف الوضع التاريخي للمراحل التي مرت بها الرحلة، قسمت الدراسة إلى مقدمة ومتن وخاتمة والمتن قسم إلى عدة فقرات وختمت الدراسة بعرض النتائج التي تم التوصل إليها.

أولاً: التعريف بشخصية محمد بن تومرت:

المهدي بن تومرت أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن تومرت، المنعوت بالمهدي الهرغي، صاحب دعوة عبد المؤمن بن علي بالمغرب، وكان ينسب إلى الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، ونسب المهدي هو محمد بن عبدالله بن عبدالرحمن بن هود ابن خالد بن تمام بن عدنان بن صفوان بن سفيان بن جابر بن يحيى بن عطاء بن

رباح بن يسار بن العباس بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب، رضي الله عنهما، والله أعلم. وكانت أمه من بني يوسف من مسكالة من أهل السوس، من موضع أصروان يمسج، وكانت أمه قد أعنست فلما خطبها أبوه وكان فقيراً رغبوا في مصاهرته، فلما ولد محمد اجتمع عند أبيه وأمه هدايا كثيرة كانت سبباً في غنى والده.

وكان مولده بموضع يسمى نومكران، وهو موضع لا ماء فيه، وإنما يشرب أهله ماء المطر، وهناك داره. أما صفاته: فقد كان ربعة، مفلج الثنايا، قليل اللحية، في خنصر إحدى يديه شبه الخاتم من اللحم، حصور لا يأتي النساء.

أما أخلاقه: فقد كان شجاعاً، كريماً، مصمماً على الحق، لا يأخذه في الله لومة لائم، عالماً بأصول الفقه وأصول الدين، وكان في صغره ملازماً للمسجد، مجتهداً متبحراً مصيباً في كل الأمور.

وقد لقبته أخته بتومرت، ويقال له أيضاً الشيخ، ويقال له أمغار، ولقبه بالمهدي العشرة من أصحابه ساعة مبايعتهم له أولى بيعة انعقدت له، وكان يلقب في صغره وهو يقرأ في المكتب «أسفو» ومعناها بالبربرية الضياء لملازمته إيقاد القنديل في المسجد للقراءة والصلاة[1].

ثانياً: الرحلة إلى المشرق وأسبابها:

قد أوردت كتب التراجم أسماء أشخاص غير قليلين وفدوا إلى المشرق لدوافع مختلفة: دينية وعلمية وتجارية وسياحية. فمنهم من رجع ومنهم من استقر. وبلا ريب أن

[1] - ابن القطان(حسن بن علي ت: منتصف القرن ٧هـ/١٣م): نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تح: محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٩٠م، ص ٦١-٦٢، ٨٧-٩٠؛ ابن خلكان(أحمد بن محمد ت: ٦٨١هـ/١٢٨٢م): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م مج٥، ص٤٥-٤٦؛ الناصري(أحمد بن خالد ت: ١٣١٥هـ/١٨٩٧م): كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى الدولتان المرابطية والموحدية، تح: جعفر الناصري- محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء،١٩٩٧م، ج٢، ص٧٨.

استعادة نصارى الأندلس لأجزاء كبيرة منها أثر في الهجرة إلى المشرق والإقامة فيه ولا سيما في مطلع (القرن ٧هـ/١٣م)،

بعد هزيمة الموحدين في واقعة العقاب[١].ويفهم من إشارة لابن جبير أن أعداداً من المغاربة كانوا يقاتلون الصليبيين في الشام إلى جانب إخوانهم المشارقة، وقد أخذ منهم أسرى، وقد كان المشارقة يقدمون فداء إخوانهم المغاربة على المشارقة لغربتهم، وقد ساعد على الاستقرار وبخاصة المغاربة، فوفروا لهم المدارس والمستشفيات والقوت والحمامات، وأشرفوا على شؤونهم بأنفسهم، ولا يحتجن أحد بإشارة ابن جبير للضيق والعنت الذي يلقاه المسافر عند الاسكندرية. وقد أشار في مواضع عدة إلى أن ذلك لم يتم بمعرفة الحاكمين، وقد أكثر من تمجيد السلطان صلاح الدين الأيوبي[٢].

وأكبر دليل على كثرة رحلات المغاربة للمشرق هو أن هذه الرحلات أنتجت في عصر الموحدين فناً جديداً في الأدب الجغرافي هو أدب الرحلات الذي بدأ مع ابن جبير وصاحب الاستبصار[٣]، وبلغ ذروته في العصر المريني مع ابن بطوطة والعبدري والبلوي.

---

[١] – واقعة العقاب: حصلت بين الموحدين والصليبيين بقيادة الأدفنش بموضع يعرف بالعقاب بالقرب من حصن يدعى حصن سالم، وكانت الهزيمة على الموحدين ومن أكبر أسباب الهزيمة اختلاف قلوب الموحدين. وكان ذلك في عام(٦٠٩هـ/١٢١٢م). المراكشي(عبدالواحد ت:٦٤٧هـ/١٢٤٩م): المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: محمد زينهم –محمد عزب، دار الفرجاني، القاهرة، ١٩٩٤م، ص٢٦٥؛ ابن خلدون(عبدالرحمن بن محمد ت: ٨٠٨هـ/١٤٠٥م): تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، دار الفكر، بيروت- لبنان، ٢٠٠٠م، ج٦، ص٣٣٥-٣٣٦.

[٢] - ابن جبير(محمد بن أحمد ت:٦١٤هـ/١٢١٧م): رحلة ابن جبير، دار صادر- دار بيروت، بيروت، ١٩٥٩م،ص١٣-١٤، ١٦، ٢٦-٢٧، ٣٠، ٥٦، ٢٨٠.

[٣] - بدأت رحلة ابن جبير في سنة (٥٧٨هـ/ ١١٨٢م) وختمها في سنة (٥٨١هـ/١١٨٥م). وقد وصف في هذه الرحلة كل ما مر به من مدن وما شاهده من عجائب البلدان وغرائب المشاهد وبدائع المصانع، والأحوال السياسية والاجتماعية والأخلاقية، وعني عناية خاصة بوصف النواحي الدينية والمساجد والمشاهد وقبور الصحابة ومناسك الحج، ومجالس الوعظ والمستشفيات والمارستانات، ووصف كذلك الكنائس والمعابد والقلاع والعواصف البحرية، وما كابده المسافرون من ضيق وذعر، وذكر الحروب التي كانت دائرة في الشرق بين الصليبيين والمسلمين. ابن جبير: رحلة ابن جبير، ص٥-٦؛ المقري(أحمد بن محمد ت: ١٠٤١هـ/١٦٣١م): نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت-لينان، ط٥، ٢٠٠٨م، مج٢، ص٣٨١-٣٨٩.

وقد تعددت أهداف الرحلة إلى المشرق، فجمعت الدين والعلم والتجارة. فمن الراحلين من طاب له المقام مثل محيي الدين بن عربي نزيل دمشق[١]، ومنهم من أقام ردحاً من الزمن فدرّس العلم للمشارقة، وأخذ عن العلماء، ورحل فقد ذكر ابن الآبار في التكملة أن ابن الرهبيل أبا جعفر الحسن محمد بن الحسن الأنصاري رحل وحج وأقام بالإسكندرية حتى (٥٧٢هـ/١١٧٧م)، ثم رجع إلى موطنه بجاية[٢].

وكان طلبة الاسكندرية يتزاحمون عليه لسماع التيسير لأبي عمرو المقرئ[٣].

وكذا كان حال أبي بكر محمد بن علي بن ياسر الأنصاري[٤]. وقد ذكر عن أبي يحيى اليسع بن عيسى بن حزم بن عبدالله بن اليسع الغافقي الجياني البلنسي أنه رحل إلى

---

[١] – ولد بمرسية، سنة (٥٦٠هـ١١٦٤م) ونشأ بها، وانتقل إلى إشبيلية، ثم ارتحل وطاف البلدان، فطرق بلاد الشام والروم والمشرق، وتفرق الناس في شأنه شيعاً، وسلكوا في أمره طرائق فذهبت طائفة إلى أنه زنديق، وقوم قالوا: إنه واسطة عقد الأولياء، ورئيس الأصفياء، توفي في الثاني والعشرين من ربيع الاخر بدمشق سنة (٦٣٨هـ/١٢٤٠م). الذهبي(محمد بن أحمد ت: ٧٤٨هـ/١٣٤٧م): تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تح: عمر عبدالسلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٩٥م، ج٤٦، ص٣٧٤-٣٨١؛ الذهبي(محمد بن أحمد ت: ٧٤٨هـ/١٣٤٧م): سير أعلام النبلاء، شعيب الأرنؤوط- محمد نعيم العرق سوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٥م، ج٢٣، ص٤٨-٤٩؛ الذهبي (محمد بن أحمد ت: ٧٤٨هـ/١٣٤٧م): الإعلام بوفيات الأعلام، تح: مصطفى بن علي عوض- ربيع أبو بكر عبد الباقي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٩٣م، مج٢، ص٤٣٢؛ ابن الملقن(عمر بن علي ت:٨٠٤هـ/١٤٠١م): طبقات الأولياء، تح: نور الدين شريبه، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٩٩٤م، ص ٤٦٩-٤٧٠؛ المقري: نفح الطيب، مج٢، ص١٦١-١٦٩؛ ابن العماد(عبد الحي بن أحمد ت: ١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: عبدالقادر الأرناؤوط- محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق- بيروت، ط١، ١٩٨٩م، مج٧، ص٣٣٢-٣٤٨؛ التليدي(عبدالله بن عبدالقادر): المطرب بمشاهير أولياء المغرب، دار الأمان، الرباط، ط٤، ٢٠٠٣م، ص١١٥-١٢١.

[٢] - بجاية: قاعدة المغرب الأوسط، وهي مدينة عظيمة على ساحل البحر بين إفريقية والمغرب كان أول من اختطها الناصر بن علناس بن حماد بن زيري بن مناد بن بلكين، في حدود سنة (٤٥٧هـ/ ١٠٦٤م). ياقوت الحموي (ياقوت بن عبدالله ت:٦٢٦هـ/١٢٢٩م): معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م، مج١، ص٣٣٩؛ أبي الفداء: تقويم البلدان، ص١٣٧؛ الحميري (محمد بن عبد المنعم ت: ٧٤٩هـ/١٣٤٨م): الروض المعطار في خبر الأقطار معجم جغرافي مع فهارس شاملة، تح: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط٢، ١٩٨٤م، ص٨٠-٨١.

[٣] - ابن الآبار(محمد بن عبدالله ت:٦٥٨هـ/١٢٥٩م): التكملة لكتاب الصلة، تح: عبدالسلام الهراس، دار الفكر، بيروت- لبنان، ١٩٩٥م، ج١، ص٢١١-٢١٢؛ المقري: نفح الطيب: مج٢، ص٥٠٩-٥١٠.

[٤] - ابن الآبار: التكملة، ج٢، ص٣١؛ الذهبي (محمد بن أحمد ت: ٧٤٨هـ/١٣٤٧م): العبر في خبر من غبر، تح: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٨٥م، ج٣، ص٤١؛ الذهبي: سير أعلام، ج٢٠، ص٥٠٩-٥١٠؛ الصفدي(خليل بن ايبك ت:٧٦٤هـ/١٣٦٢م): كتاب الوافي بالوفيات، تح: أحمد الأرناؤوط- تركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ط١، ٢٠٠٠، ج٤، ص١٦٣؛ السبكي(عبد الوهاب بن علي ت: ٧٧١هـ/١٣٦٩م): طبقات الشافعية الكبرى، تح: محمود محمد الطناحي – عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٩٩٢م، ج٦، ص١٥٣-١٥٤؛ الأتابكي (يوسف بن تغري بردي ت:

المشرق سنة (٥٦٠هـ/١١٦٥م)، واستقر بمصر، واتصل بالسلطان صلاح الدين الأيوبي الذي قربه إليه، وكان يكرمه ويشفعه في حوائج الناس، توفي بمصر سنة (٥٧٥هـ/١١٨٠م)، وقد ألف كتاباً سماه « المغرب في أخبار محاسن أهل المغرب»[١].

وكذا الحال مع محمد بن تومرت هو من جبل السوس في أقصى بلاد المغرب، ونشأ هناك ثم جاز البحر إلى الأندلس طالباً للعلم في شبابه، ووصل قرطبة. ثم مشى من قرطبة إلى المرية، فدخل منها في مركب إلى المشرق وغاب في رحلته في طلب العلم خمسة عشر عاماً[٢]، فانتهى إلى العراق، واجتمع بأبي حامد الغزالي[٣].

٨٧٤هـ/١٤٦٩م):النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة- مصر، ط١، ١٩٣٥م، ج٥، ص٣٨٠؛ المقري: نفح الطيب، مج٢، ص٥٨؛ ابن العماد: شذرات الذهب، مج٦، ص٣٤٨-٣٤٩؛

[١] - الذهبي: العبر، ج٣، ص٦٧؛ الذهبي: معرفة القراء، مج٣، ص١٠٤٣-١٠٤٤؛ ابن الخطيب(محمد بن عبدالله ت:٧٧٦هـ/١٣٧٤م): الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، مطبعة التقدم الإسلامي. تونس، ط١، ١٩١٢م، ص٧٨؛ ابن العماد: شذرات الذهب، مج٦، ص٤١٣-٤١٤.

[٢] - ابن القطان: نظم الجمان، ص٦١-٦٢؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، مج٥، ص٤٦؛ الناصري: الاستقصا، ج٢، ص٧٨.

[٣] - أبي حامد الغزالي: محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي (٤٥٠-٥٠٥هـ/١٠٥٨-١١١١م)، حجة الإسلام فيلسوف متصوف، له نحو مئتي مصنف، مولده ووفاته في الطابران(قصبة طوس، بخرسان) رحل إلى نيسابور ثم إلى بغداد فالحجاز فبلاد الشام فمصر، وعاد إلى بلدته. نسبته إلى صناعة الغزل، ومن كتبه إحياء علوم الدين، وتهافت الفلاسفة، والاقتصاد في الاعتقاد، ومحك النظر، معراج القدس في احوال النفس، ومقاصد الفلاسفة، وغيرهم كثير توفي سنة (٥٠٥هـ/١١١١م). ابن الجوزي (عبد الرحمن بن علي ت: ٥٩٧هـ/١٢٠٠م): المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تح: محمد عبدالقادر عطا- مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٩٢م، ج١٧، ص١٢٤-١٢٧؛ ابن الأثير (علي بن محمد ت: ٦٣٠هـ/١٢٣٢م): اللباب في تهذيب الأنساب، مكتبة المثنى، بغداد- العراق، د.ت، ج٢، ص٣٧٩؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، مج٤، ص٢١٦-٢١٩؛ الذهبي: العبر، ج٢، ٣٨٧-٣٨٨؛ الصفدي: كتاب الوافي، ص٢١١-٢١٣؛ اليافعي(عبدالله بن أسعد ت: ٧٦٨هـ/١٣٦٦م): مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط٢، ١٩٩٣م ، ج٣، ص١٣٦-١٤٦؛الأتابكي: النجوم الزاهرة، ج٥، ص٢٠٣؛ ابن العماد: شذرات الذهب، مج٦، ص١٨-٢٢؛ الزركلي (خير الدين): الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، ط١٥، ٢٠٠٢م.، ج٧، ص٢٢-٢٣.

والطرطوشي[١]، وغيرهم وحج وأقام بمكة مديدة وحصّل طرفاً صالحاً من علم الشريعة والحديث النبوي وأصول الفقه والدين.

وحرص أبناء المغرب في الرحلة إلى المشرق من أجل الحج وزيارة البقاع المقدسة بالحجاز وبيت المقدس فأتيحت الفرصة للتلاقح الفكري ودعم الروابط الثقافية بين أبناء وعلماء المغرب ونظرائهم من حواضر المشرق بالرغم من التجزئة السّياسية والعوائق المذهبية في بعض الأحيان، فتنقل الدارسون المغاربة لطلب العلم والاستزادة منه ولقاء كبار الشيوخ المشهورين لأن الرّحلة في طلب العلم كانت من المسائل المحمودة، فكان أبناء المغرب لا يكلّون عن السّعي في طلب العلم والتّحصيل وتبادل الآراء في مختلف العلوم العقلية والنقلية ومد جسور العلم والثقافة.

ويتمثل هذا الاتصال في تداول المعارف والكتب، واعتراف متبادل بين الشيوخ أنفسهم لما يجدونه من معارف ولما يحصلونه من علوم بعضها كان باللقاء المباشر والبعض الآخر بالمكاتبة، فأنتسب أبناء المغرب إلى الحواضر العلمية بالمشرق كالمدينة ودمشق، وبغداد، وبيت المقدس، فزاروا هذه المؤسسات للتعمق في دراسة العلوم اللغوية، والنحوية، والحديث، والتفسير، وغيرها من علوم ذلك العصر، وحضر أبناء المغرب المجالس والحلقات العلمية

[١] - أبو بكر الطرطوشي محمد بن الوليد بن محمد بن خلف القرشي الفهري الأندلسي ويقال له أبو رندقة: (٤٥١-٥٢٠هـ/ ١٠٥٩-١١٢٦م) أديب، من فقهاء المالكية، الحفاظ من أهل طرطوشة بشرقي الأندلس، تفقه ببلاده، ورحل إلى المشرق سنة (٤٧٦هـ/١٠٨٣م)، وكان زاهداً لم يتشبث من الدنيا بشيء. من كتبه سراج الملوك والتعليقة في الخلافيات، خمسة أجزاء، وكتاب كبير عارض به إحياء وبر الوالدين والفتن والحوادث والبدع ومختصر تفسير الثعلبي والمجالس في الرباط، توفي سنة (٥٢٠هـ/١١٢٦م). الضبي(أحمد بن يحيى ت:٥٩٩هـ/١٢٠٢م): بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري- دار الكتاب اللبناني، القاهرة- بيروت، ط١، ١٩٨٩م، ص١٧٥-١٧٩؛ ابن خلكان: وفيات الاعيان، مج٤، ص٢٦٢-٢٦٥؛ الذهبي: العبر، ج٢، ص٤١٤؛ اليافعي: مرآة الجنان، ج٣، ص١٧٢-١٧٣؛ ابن فرحون (إبراهيم بن علي ت: ٧٩٩هـ/١٣٩٦م): الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تح: محمد الأحمدى أبو النور، دار التراث، القاهرة، د.ت، ج٢، ص٢٤٤-٢٤٨؛ الأتابكي: النجوم الزاهرة، ج٥، ص٢٣١-٢٣٢؛ السيوطي (عبدالرحمن ت:٩١١هـ/١٥٠٥م): حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، د.م، ط١، ١٩٦٧م، ج١، ص٤٥٢؛ المقري (أحمد بن محمد ١٠٤١هـ/١٦٣١م): أزهار الرياض في أخبار عياض، تح: مصطفى السقا وآخرون، مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة، ١٩٤٢م، ج٣، ١٦٢-١٦٥؛ ابن العماد: شذرات الذهب، مج٦، ص١٠٢-١٠٤؛ الزركلي: الأعلام، ج٧، ص١٣٣-١٣٤.

على اختلاف حظوظهم من التّحصيل على أعلام هذه الحواضر، والمساهمة في تبليغ ما عندهم من علوم ومعارف، حيث ترك علماء المغرب أثار علمية وبصمات فكرية وسمعة طيبة عند أهل المشرق.

وإذا كانت دوافع الرّحلة وبواعثها تختلف من شخص لآخر، فإن المقصد العلمي كان أقواها وأشملها، سواء أكانوا يتمتعون بحظ وافر من العلم أو بالقليل منه، فإن المغاربة كانوا يتجهون إلى مراكز المؤسسات العلمية المشرقية من أجل أخذ المزيد من التحصيل العلمي ومجالسة الشيوخ والرواية عن أبرزهم وهذا تقليد مغربي مستحسن من العلماء المشارقة وبفضل الرّحلة العلمية والتأثير الثقافي والفكري من خلال العلماء المغاربة الذين تزودوا بمعارف الشرق ثم عادوا إلى بلادهم فاستثمروا هذه المعارف في حواضرهم ومؤسساتهم العلمية المغربية، وأبدع المغاربة في تحصيل العلم وأخذ المعرفة وعملوا على تعميق التفاعل الثقافي بين المشرق والمغرب، وكانوا أحسن رواد وسفراء لبلاد المغرب في المشرق من حيث الأخلاق والصدق والأمانة والشجاعة، فشاركوا المشارقة في جميع الظروف السياسية والحربية والاقتصادية، وكانت لهم وقفات في التاريخ المشرقي، برز ذلك في جملة من الأحداث، منها الحروب الصليبية.

حيث شارك المغاربة خلال وجودهم في المشرق في شتى مجالات الحياة العامة، مثلهم في ذلك مثل سكان البلاد الأصليين، حيث أنهم لم يكونوا بعيدين عن ميادين الجهاد ضد الصليبين، وهو أمر ليس بجديد على هؤلاء المغاربة الذين كانوا في بلادهم التي نزحوا منها في حروب مستمرة مع النصارى منذ وقت مبكر[1].

ثالثاً: لقائه بالعلماء:

[1] – حسن (زكي محمد): الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، دار المعارف، القاهرة ، د.ت، ص ٨٥.

أ- لقائه مع الإمام الغزالي:

ذكر الشيخ الفقيه أبو محمد عبدالله بن رحمن العراقي عن بعض أشياخه قال: أخبرني الحاج الصالح المسن فلان من أهل فاس(١)، قال: كنت في حلقة أبي حامد الغزلي التي حلقها للتدريس فجاء ذات يوم رجل كث اللحية على رأسه كرزي صوف(٢)، وهو محّتب بكساء فدخل المدرسة وحياها بالركعتين ثم أقبل إلى الشيخ أبي حامد فسلم عليه، فقال له من الرجل؟ فقال: رجل من أهل المغرب الأقصى فقال له: دخلت قرطبة(٣)؟ فقال: نعم قال: فما فعل فقهاؤها وكيف حال إخواننا في الله؟ فقال بخير. قال: هل انتهى إليهم كتاب الإحياء؟ قال: نعم. قال فماذا قالوا عنه؟ فوجم الرجل وخجل ولازم الصمت حياء. فعزم عليه الشيخ ليقولن ما طرأ فقال إنه قبيح أيها الإمام فاشتدت عزيمته عليه في أن يقول ما طرأ فقال له: القوم جهال مقلدون لم يعرفوا قدره. ورفعوا إلى سلطان العدوة والأندلس في شأنه وأنه ينبغي أن يحرق فأمر بإحراقه، فجمعت النسخ التي في البلاد منه، وأحرقت في كل البلد.

قال: فتغير وجه أبي حامد. ومد يديه للدعاء والطلبة يؤمنون، فقال في دعائه: اللهم مزق ملكهم كما مزقوه، وأذهب دولتهم كما حرقوه فقال رجل من الحلقة كان يقال له

(١) - فاس: مدينة مشهورة كبيرة على بر المغرب من بلاد البربر، وهي حاضرة البحر وأجل مدنه قبل أن تخط مراكش، وفاس مختطّة بين ثنيّتين عظيمتين وقد تصاعدت العمارة في جنبيها على الجبل حتى بلغت مستواها من رأسه وقد تفجرت كلها عيوناً. ابن حوقل (محمد بن حوقل ت:٣٦٧هـ/٩٧٧م): كتاب صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت- لبنان، ١٩٩٢م، ص٩١؛ ياقوت: معجم البلدان، مج٤، ص٢٣٠-٢٣١؛ أبي الفداء (اسماعيل بن عمر ت: ٧٣٢هـ/١٣٣١م): تقويم البلدان، دار صادر، بيروت- لبنان، طبع في باريس١٩٨٠م، ص١٣٣؛ الحميري: الروض المعطار، ص٤٣٤-٤٣٥.

(٢) - كلمة بربرية شاع استعمالها لدى الأندلس والمغرب وأصلها في البربرية تركرزيت هي تعني العمامة، وفي ولاية حيخا أقصى بلدان مراكش العربية، كانوا يشدون عصائب من الصوف يسمونها كرزية وهي واسعة وطويلة يلفون بها الرأس خمس أو ست لفات باعتبارها عمامة، وأجمل هذه العمائم مزركش بالحواشي القطنية. إبراهيم (رجب عبد الجواد): المعجم العربي لأسماء الملابس في ضوء المعاجم والنصوص الموثقة من الجاهلية حتى العصر الحديث، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٢م، ص٤٢٠.

(٣) - قرطبة: مدينة عظيمة في الأندلس وسط البلاد كانت سريراً لملكها وقصبتها وبها كانت ملوك بني أمية ومعدن الفضلاء ومنبع النبلاء من ذلك الصقيع، وبينها وبين البحر خمسة أيام. ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج٤، ص٣٢٤-٣٢٥؛ أبي الفداء: تقويم البلدان، ص١٧٥؛الحميري: الروض المعطار، ص٤٥٦-٤٥٩.

في ذلك الوقت أبو عبدالله السوسي فقال: ادع الله أيها الإمام أن يجعل ذلك على يدي، فتغافل عنه أبو حامد. فلما كان بعد جمعة أو نحوها إذ بشيخ آخر على شكل الأول، فسأله الشيخ أبو حامد، فأخبره بصحة الخبر المتقدم. فدعا بمثل دعائه الأول، فقال له المهدي: على يدي إن شاء الله، فقال: اللهم اجعله على يده فقبل الله دعاءه. فخرج أبو عبدالله ابن تومرت من بغداد وصار إلى المغرب، وقد علم أن دعوة الله لا ترد[1].

كان ورعاً ناسكاً متقشفاً مخشوشناً مخلولقاً كثير الإطلاق، بساماً في وجوه الناس، مقبلاً على العبادة، لا يصحبه من متاع الدنيا إلا عصا وركوة، وكان شجاعاً فصيحاً في لسان العربي والمغربي، شديد الإنكار على الناس فيما يخالف الشرع، لا يقنع في أمر الله بغير إظهاره. كان مطبوعاً على الالتذاذ بذلك متحملاً للأذى من الناس بسببه، وناله بمكة شيء من المكروه من أجل ذلك، فخرج منها إلى مصر وبالغ في الإنكار، فزادوا في أذاه، وطردته الدولة، وكان إذا خاف من البطش وإيقاع الفعل به خلط في كلامه فينسب إلى الجنون، فخرج من مصر إلى الاسكندرية، وركب البحر متوجهاً إلى بلاده.

ب- لقائه بالإمام الطرطوشي:

أثناء إقامته بالإسكندرية فإنه كان كلما رأى مناكر غيرها، وأغلظ في أمرها، فقامت عليه العامة والغوغاء، فصاروا يقطعون به في طريقه إلى مجلس الطرطوشي ولم ينله من أسهم على غربته وشحط داره أكثر من هذا فلما فقده الطرطوشي بحث عنه حتى أعلم بمكانه، فقصد إليه وهو في مسجد الأخضر على ساحل البحر، فترامى عليه وصافحه، وسأله عن سبب غيبته عن مجلسه، فعرفه بشأن أولئك الغوغاء، وأنه يريد الإياب إلى المغرب، فودعه وانصرف[2].

[1] - ابن القطان: نظم الجمان، ص٧٣؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، مج٥،ص٤٦.
[2]- المراكشي: المعجب، ص١٥٦؛ ابن القطان: نظم الجمان، ص٩١؛ الناصري: الاستقصا، ج٢، ص٧٩.

كان قد رأى في منامه وهو في بلاد المشرق كأنه شرب ماء البحر جميعه كرتين، فلما ركب في السفينة شرع في تغيير المنكر على أهل السفينة، وألزمهم بإقامة الصلوات وقراءة أحزاب من القرآن الكريم، ولم يزل على ذلك حتى انتهى إلى المهدية إحدى مدن إفريقية، وكان ملكها يومئذ يحيى بن تميم بن المعز ابن باديس الصنهاجي، وذلك في سنة (٥٠٥هـ/١١١١م)[١].

رابعاً: عودته من رحلته:

أ- وصول المهدي إلى المهدية[٢]:

ولما وصل إلى المهدية نزل في مسجد معلق، وهو على الطريق، وجلس في طاق شارعٍ إلى المحجة ينظر إلى المارة فلا يرى منكراً من آلة الملاهي أو أواني الخمر إلا نزل إليها وكسرها، فتسامع به الناس في البلد، فجاءوا إليه، وقرؤوا عليه كتباً من أصول الدين، وبلغ خبره الأمير يحيى، فاستدعاه مع جماعة من الفقهاء، فلما رأى سمته وسمع كلامه أكرمه وأجله وسأله الدعاء، فقال له: أصلحك الله لرعيتك، ولم يقم بعد ذلك بالمهدية إلا أيام يسيرة، ثم انتقل[٣].

ب- وصول المهدي إلى بجاية:

خرج محمد بن تومرت من مصر في زي الفقهاء بعد الطلب بها وبغيرها ووصل إلى بجاية، فأمر بالمعروف فنمى أمره إلى العزيز بالله بن المنصور بن الناصر بن

(١) - ابن خلكان: وفيات الأعيان، مج٥، ص٤٦-٤٧.

(٢) - المهدية: توجد في موضعين إحداهما بإفريقية والأخرى اختطها عبد المؤمن بن علي الفاطمي وهي في شرقي سوسة وجعلها المهدي كرسي مملكة أفريقية وهي على طرف داخل في البحر كهيئة كف متصل بزند، وكان شروع اختطاط هذه المدينة سنة (٣٠٣هـ/٩١٥م). ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج٥، ص٢٢٩-٢٣٢؛ أبي الفداء: تقويم البلدان، ص١٤٥؛ الحميري: الروض المعطار، ص٥٦٢.

٣ - ابن القطان: نظم الجمان، ص٢٩-٩٣؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، مج٥، ص٤٧

علناس[1]، صاحبها فهم به، ثم تركه عصمة من الله تخولته لما منحه من إنقاذ البلاد من الجور والفساد، وتلافي العباد، وقد أغضبه وغاظه في بجاية الصبيان في زي النساء بالضفائر والأخراس، فغير المنكر وأزال الزي مستطاعه، ثم حضر عيداً فرأى فيه اختلاط الرجال بالنساء والصبيان المتزينيين المتكحلين ما لا يحل فزجرهم وغير ذلك عليهم فوقع لأجل ذلك نفرة استطال فيها الشر، وسلب النساء حليها، وقام الهرج، فخرج المهدي عنه من بجاية إلى رباط خارجها وعلى القرب منها يقال له رباط ملالة، فكان المهدي حافظاً عالماً بالمذاهب، فعمر مجلسه الطلبة والصالحون، فكان المهدي مأوى لأهل الخير والعلم، وتعلق به عبدالواحد بن عمر التونسي من فقهاء إفريقية، وكان لا يراه أحد ولا يسمع به إلا أُشرب حبه[2]. وفي ملالة وجد بها عبد المؤمن بن علي القيسي، وقد اطلع المهدي من علوم أهل البيت على كتاب يسمى الجفر وأنه رأى فيه صفة رجل يظهر بالمغرب الأقصى بمكان يسمى السوس، وهو من ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم، يدعو إلى الله، يكون مقامه ومدفنه بموضع من المغرب يسمى باسم هجاء حروفه(ت ي ن م ل) ورأى فيه أيضاً أن استقامة ذلك الأمر واستيلاءه وتمكنه يكون على يد رجل من أصحابه هجاء اسمه (ع ب د م و م ن) ويجاوز وقته المائة الخامسة للهجرة، فأوقع الله سبحانه وتعالى في نفسه أنه القائم بأول الأمر، وأن أوانه قد أزف، فما كان محمد يمر بموضع إلا يسأل عنه، ولا يرى أحداً إلا أخذ اسمه وتفقد حليته، وكانت حلية عبد المؤمن معه، فقال له المهدي وقد تجاوزه: ما اسمك يا شاب؟ فقال: عبد المؤمن، فرجع إليه وقال له: ممن أنت، فقال: من كومية،

---

[1] - العزيز بن المنصور بن الناصر بن علناس: هو الذي استوطن بجاية ومن بعد ولايته شرعت القلعة في الخراب. كان حسن الخلق، معتدل الطريقة، كاتب ملوك زمانه وسالمهم، له في ملكه آثار عظيمة ومبان رفيعة وكان يعرف بالميمون لولادته ليلة ولاية أبيه. ابن الخطيب(محمد بن عبدالله ت: ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م): تاريخ المغرب، العربي في العصر الوسيط القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام، تح:أحمد مختار العبادي- محمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٦٤م، ص٩٩.

[2] - المراكشي: المعجب، ص١٥٦؛ ابن القطان: نظم الجمان، ص٧٦-٧٧؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، مج٥،ص٤٧.

قال: أين مقصدك؟ فقال الشرق، فقال ما تبغي؟ قال: أطلب علماً وشرفاً، قال: وجدت علماً وشرفاً وذكراً، اصحبني تنله فوافقه على ذلك، فألقى محمد إليه أمره وأودعه سره.

وكان محمد قد صحب رجلاً يسمى عبدالله الونشريسي ففاوضه فيما عزم عليه من القيام، فوافقه على ذلك أتم موافقة، وكان الونشريسي ممن تهذب وقرأ فقهاً، وكان جميلاً فصيحاً في لغة العرب وأهل المغرب، فتحدثا يوماً في كيفية الوصول إلى الأمر المطلوب فقال المهدي لعبدالله أرى أن تستر ما أنت عليه، من العلم والفصاحة عن الناس وتظهر من العجز والحصر والتعري عن الفضائل ما تشتهر به عند الناس، لنتخذ الخروج عن ذلك واكتساب العلم والفصاحة دفعة واحدة ليقوم ذلك مقام المعجزة، عند حاجتنا إليه، فنصدق فيما نقوله، ففعل عبدالله ذلك.

ثم إن محمداً استدنى أشخاصاً من أهل الغرب أجلاداً في القوى الجسمانية أغماراً وكان أميل إلى الأغمار من أولي الفطن والاستبصار، فاجتمع له منهم ستة سوى عبدالله الونشريسي، ثم رحل إلى أقصى المغرب، واجتمع بعبد المؤمن بعد ذلك، وتوجهوا إلى مراكش[١]، وعندما دخل المهدي على أبو الحسن علي بن يوسف بن تاشفين[٢]، كان بحضرته رجل يقال له مالك بن وهيب الأندلسي وكان عالماً صالحاً، فشرع المهدي بالإنكار على جاري عادته، فقال له مالك نخاف من فتح باب يعسر علينا سده، والرأي أن يحضر هذا الشخص وأصحابه لنسمع كلامهم بحضور جماعة من علماء البلد، فلما حضر المهدي

[١] - مراكش: أعظم مدينة بالمغرب، وهي في البر الأعظم بينها وبين البحر عشرة أيام في وسط بلاد البربر، وكان أول من اختطها أمير المسلمين يوسف بن تاشفين من الملثمين في حدود سنة (٤٧٠هـ/ ١٠٧٧م). ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج٥، ص٩٤؛ أبي الفداء: تقويم البلدان، ص١٣٥.

[٢] - علي بن يوسف بن تاشفين: صاحب عدل ودين وتعبد وحسن طويّة وشدّة إيثار لأهل العلم وتعظيم لهم، وذمَّ للكلام وأهله. ولما وصلت إليه كتب أبي حامد أمر بإحراقها وشدّد في ذلك، ولكنه كان مستضعفاً مع رؤوس أمرائه، فلذلك ظهرت مناكير وخمور في دولته. فتغافل وعكف على العبادة. وتوثب عليه ابن تومرت، ثم صاحبه عبد المؤمن. توفي في رجب سنة (٥٣٧هـ/١١٤٢م) عن إحدى وستين سنة. ابن خلكان: وفيات الأعيان، مج٧، ص١٢٥-١٢٦؛ ابن سعيد (علي بن موسى ت: ٦٨٥هـ/١٢٨٦م): رايات المبرزين وغايات المميزين، تح: محمد رضوان الداية، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ط١، ١٩٨٧م، ص٥٢؛ العبر: ج٢، ص٤٥٢؛ ابن الخطيب: الحلل الموشية، ص٦١-٦٢؛ الأتابكي: النجوم الزاهرة، ج٥، ص٢٧٢؛ ابن العماد: شذرات الذهب، مج٦، ص١٨٨-١٨٩؛ الزركلي: الأعلام، ج٥، ص٣٣.

وتكلم قال: يا قاضي هل بلغك أن الخمرة تباع جهاراً، وتمشي الخنازير بين المسلمين، وتؤخذ أموال اليتامى؟ وعدد من ذلك شيئاً كثيراً. فلما سمع الملك كلامه ذرفت عيناه وأطرق حياء، ففهم الحاضرون من فحوى كلامه أنه طامع في المملكة لنفسه، فقال مالك للملك إني عندي لك نصيحة قال: ما هي؟ قال: إني خائف عليك من هذا الرجل وأصحابه وأرى أنك تعتقله وأصحابه، وتنفق عليه كل يوم ديناراً لتكتفي شره، وإن لم تفعل ذلك لتنفقن عليه خزائنك كلها، ثم لا ينفعك، فوافقه الملك على ذلك، فقال له الوزير: يقبح منك أن تبكي من موعظة هذا الرجل ثم تسيء إليه في مجلس واحد، وأن يظهر منك الخوف منه مع عظم ملكك، وهو رجل فقير لا يملك سد جوعه، فلما سمع الملك كلامه أخذته عزة النفس واستهون أمره وصرفه، وسأله الدعاء، فلما خرج المهدي لم يزل وجهه تلقاء وجهه إلى أن فارقه، فقيل له: نراك قد تأدبت مع الملك إذ لم توله ظهرك، فقال: أردت أن لا يفارق وجهي الباطل حتى أغيره ما استطعت، وكان المهدي رجلاً ربعة قضيفاً أسمر اللون عظيم الهامة حديد النظر[1]. فلما خرج محمد وأصحابه من عند الملك قال لهم: لا مقام لنا بمراكش مع وجود مالك بن وهيب، فما نأمن من أن يعاود الملك في أمرنا فينالنا منه مكروه، وإن لنا بمدينة أغمات[2]، أخاً في الله، فنقصد المرور به فلن نعدم منه رأياً ودعاء صالحاً، واسم هذا الشخص عبدالحق بن ابراهيم، وهو من فقهاء المصامدة، فخرجوا إليه ونزلوا عليه، وأخبره محمد خبرهم وأطلعه على مقصدهم وما جرى لهم عند الملك، فقال عبد الحق: هذا الموضع

---

[1] – البيذق(أبو بكر بن علي ت:٥٥٥هـ/١١٦٠م): كتاب أخبار المهدي بن تومرت، تح: عبدالحميد حاجيات، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٧٥م، ص٣٣؛ ابن الأثير(علي بن محمد ت:٦٣٠هـ/١٢٣٢م): الكامل في التاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٨٧م، مج٩، ص١٩٥-٢٠٤؛ المراكشي: المعجب، ص١٥١-١٦١؛ ابن القطان: نظم الجمان، ص٦١-٦٢، ٧٢-٧٣؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، مج٥، ص٤٥-٥٥؛ الزركشي(محمد بن إبراهيم ت:٧٩٤هـ/١٣٩١م): تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تح: محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، ط٢، ١٩٦٦م، ص٣-٧؛ الناصري: الاستقصا، ج٢، ص٧٨-٩٨؛ الزركلي: الأعلام، ج٦، ص٢٢٨-٢٢٩.

[2] - أغمات: ناحية في بلاد البربر من أرض المغرب قرب مراكش، وهي مدينتان متقابلتان كثيرة الخير، وليس بالمغرب فيما زعموا بلد أجمع لأصناف من الخيرات ولا أكثر ناحية ولا أوفر حظاً ولا خصباً منها. مؤلف مجهول: كتاب الاستبصار، ص٢٠٧؛ ابن حوقل: كتاب صورة، ص٩٠؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج١، ص٢٢٥؛ أبي الفداء: تقويم البلدان، ص١٣٥.

لايحميكم، وإن أحصن المواضع المجاورة لهذا البلد تين ميل، بيننا وبينها مسافة يوم في هذا الجبل، فانقطعوا فيه برهة ريثما ينسى ذكركم، فلما سمع محمد بهذا الاسم تجدد له ذكر اسم الموضع الذي رآه في كتاب الجفر[١]، فقصده مع أصحابه، فلما أتوه رآهم أهله على تلك الصورة فعلموا أنهم طلاب العلم، فقاموا إليهم وأكرموهم وتلقوهم بالترحاب وأنزلوهم في أكرم منازلهم، وسأل الملك عنهم بعد خروجهم من مجلسه فقيل له: إنهم سافروا، فسره ذلك وقال تخلصنا من الإثم بحبسهم.

ثم إن أهل الجبل تسامعوا بوصول محمد إليهم، و كان قد سار فيهم ذكره فقدموا عليه من كل فج وتبركوا بزيارته، وكان كل من أتاه استدناه وعرض عليه ما في نفسه من الخروج على الملك، فإن أجابه أضافه إلى خواصه، وإن خالفه أعرض عنه، وكان يستميل الأحداث وذوي الغرة وكان ذوو العقل والعلم والحلم من أهاليهم ينهونهم ويحذرونهم من اتباعه ويخوفونهم من سطوة الملك. فكان لا يتم له مع ذلك حال. وطالت المدة وخاف محمد من مفاجأة الأجل قبل بلوغ الأمل، وخشي أن يطرأ على أهل الجبل من جهة الملك ما يحوجهم إلى تسليمه إليه والتخلي عنه، فشرع في إعمال الحيلة فيما يشاركونه فيه ليعصوا على الملك بسببه، فرأى بعض أولا القوم شقراً زرقاً، وألوان آبائهم السمرة والكحل، فسألهم عن سبب ذلك فلم يجيبوه، فألزمهم بالإجابة فقالوا: نحن من رعية الملك وله علينا خراج، وفي كل سنة تصعد مماليكه إلينا ينزلون في بيوتنا ويخرجونا عنها ويخلون بمن فيها من النساء، فتأتي الأولاد على هذه الصفة، وما لنا قدرة على دفع ذلك عنا، فقال محمد: والله إن الموت خير من هذه الحياة، وكيف رضيتم بهذا وأنتم أضرب خلق الله بالسيف وأطعنهم بالرمح والحربة؟ فقالوا: بالرغم لا بالرضا، فقال: أرأيتم لو أن ناصراً نصركم على أعدائكم ما كنتم تصنعون؟ قالوا: كنا نقدم أنفسنا بين يديه للموت، قالوا: من هو؟ قال: ضيفكم –

[١] - سمي كتاب الجفر نسبة إلى جلد الثور الذي كتب عليه وهو يتضمن تفسير القرآن وما في بطنه من غرائب المعاني المروية عن جعفر الصادق. ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج١، ص٤١٦.

يعني نفسه– فقالوا السمع والطاعة، وكانوا يغالون في تعظيمه، فأخذ عليهم العهود والمواثيق واطمأن قلبه، ثم قال لهم: استعدوا لحضور هؤلاء بالسلاح، فإذا جاءوكم فأجروهم على عاداتهم وخلوا بينهم وبين النساء وميلوا عليهم بالخمور، فإذا سكروا فأذنوني بهم، فلما حضر المماليك وفعل بهم أهل الجبل ما أشار به محمد وكان ليلاً، فأعلموه بذلك فأمر بقتلهم بأسرهم، فلم يمض من الليل سوى ساعة حتى أتوا على آخرهم، ولم يفلت منهم سوى مملوك واحد كان خارج المنازل لحاجة له، فسمع التكبير عليهم والوقع بهم فهرب من غير الطريق حتى خلص من الجبل ولحق مراكش وأخبر الملك بما جرى، فندم على فوات محمد من يده، وعلم أن الحزم كان مع مالك ابن وهيب فيما أشار به فجهز من وقته خيلاً بمقدار ما يسع وادي تين ميل فإنه ضيق المسلك، وعلم محمد أنه لابد من عسكر يخرج إليهم فأمر أهل الجبل بالقعود على أنقاب الوادي ومراصده واستنجد لهم بعض المجاورين فلما وصل الخيل إليهم أقبلت عليهم الحجارة من جانبي الوادي مثل المطر وكان ذلك من أول النهار إلى آخره، وحال بينهم الليل، فرجع العسكر إلى الملك وأعلموه بما تم لهم، فعلم أنه لا طاقة له بأهل الجبل لتحصنهم، فأعرض عنهم[1].

خامساً: وفاة المهدي محمد بن تومرت:

عندما حضرت محمد الوفاة أوصى من حضر أن يبلغ الغائبين أن النصر لهم، وأن العاقبة حميدة فلا يضجروا وليعاودوا القتال، وإن الله سبحانه وتعالى سيفتح على أيديهم والحرب سجال، وإنكم ستقوون ويضعفون ويقلون وتكثرون، وأنتم مبدأ وهم في آخره، ومثل هذه الوصايا وأشباهها، ثم إنه توفي سنة (٥٢٤هـ/١١٢٤م) ودفن في الجبل، وقبره هناك مشهور

[1] - ابن خلكان: وفيات الأعيان، مج٥، ص٥٠-٥٢.

يزار وهذه السنة تسمى عندهم عام البحيرة وكانت ولادته يوم عاشوراء سنة (٤٨٥هـ/١٠٩٢م) وأول ظهوره ودعائه إلى هذا الأمر سنة (٥١٤هـ/١١٣٠م)[١].

- نتائج رحلة المهدي محمد بن تومرت:

١. اكتسب علم من علماء المشرق مثل أبي حامد الغزالي وأبو بكر الطرطوشي.
٢. اكتساب معرفة بكتاب الجفر أثناء رحلته في المشرق[٢].
٣. تغير المنكر في أي مكان حل فيه بعد عودته من المشرق.
٤. إعداد الخطط واستقطاب الناس حوله من أجل القضاء على دولة المرابطين كما فعل في تينمل.
٥. التأسيس لدولة الموحدين من خلال تعينه لعبد المؤمن بن علي[٣].

● - خاتمة:

استقرت حصيلة الدراسة التي انجزت حول رحلة محمد بن تومرت على النتائج والاستنتاجات التالية:

١. تعلق المغاربة بالمشرق، وحرصهم على الرحلة إليه لأسباب عديدة: دينية علمية تجارية.
٢. زيارته لكل من الإمام الغزالي والطرطوشي والنهل منهما في أثناء رحلته إلى المشرق.
٣. إطلاعه على كتاب الجفر.

(١) - ابن القطان: نظم الجمان، ص١٢٣؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، مج٥، ص٥٣.
(٢) - ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج١، ص٤١٦.
(٣) - ابن القطان: نظم الجمان،ص٧٣، ٧٦-٧٧؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، مج٥، ص٤٦-٥٢.

٤. من الملاحظ أن محمد بن تومرت كان يقوم بتغير المنكر في أي مكان حل به وهذا ما سبب له مشكلات كبيرة.

٥. يستشف من الدراسة بأن ولات المدن التي كان يحل بها محمد بن تومرت يطلبونه للمناظرة بسبب الأعمال التي يقوم بها.

٦. يستقرأ من الدراسة بأن محمد بن تومرت استخدم الحيلة والدهاء من أجل كسب حب الناس له لكي يصل إلى مراده ألا وهو القضاء على الدولة المرابطية.

٧. من جملة الملاحظات التي يمكن أن تذكر بصدد رحلة محمد بن تومرت ونتائجها هي أنه هو المؤسس للدولة الموحدية وذلك من خلال تعيين عبد المؤمن بن علي.

٨. يستشف من الدراسة أن محمد بن تومرت توفي قبل أن يرى مشروعه يتحقق بالكامل ألا وهو الدولة الموحدية.

● **- قائمة المصادر والمراجع:**

١- المصادر:

١- ابن الآبار (محمد بن عبدالله ت.٦٥٨هـ/١٢٥٩م): التكملة لكتاب الصلة، تح: عبدالسلام الهراس، دار الفكر، بيروت- لبنان، ١٩٩٥م.

٢- الأتابكي (يوسف بن تغري بردي ت. ٨٧٤هـ/١٤٦٩م): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة- مصر، ط١، ١٩٣٥م.

٣- ابن الأثير(علي بن محمد ت: ٦٣٠هـ/١٢٣٢م): اللباب في تهذيب الأنساب، مكتبة المثنى، بغداد- العراق، د.ت.

٤- ابن الأثير(علي بن محمد ت: ٦٣٠هـ/١٢٣٢م): الكامل في التاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٨٧م.

٥- البيذق (أبو بكر بن علي ت:٥٥٥هـ/١١٦٠م): كتاب أخبار المهدي بن تومرت، تح: عبدالحميد حاجيات، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٧٥م.

٦- ابن جبير(محمد بن أحمد ت: ٦١٤هـ/١٢١٧م): رحلة ابن جبير، دار صادر- دار بيروت، بيروت، ١٩٥٩م.

٧- ابن الجوزي(عبدالرحمن بن علي ت: ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م): المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تح: محمد عبدالقادر عطا- مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٩٢م.

٧- الحميري(محمد بن عبد المنعم ت:٧٤٩هـ/١٣٤٨م): الروض المعطار في خبر الأقطار معجم جغرافي مع فهارس شاملة، تح: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط٢، ١٩٨٤م.

٩- ابن حوقل(محمد بن حوقل ت: ٣٦٧هـ/٩٧٧م): كتاب صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت- لبنان، ١٩٩٢م.

١٠- ابن الخطيب(محمد بن عبدالله ت:٧٧٦هـ/١٣٧٤م): الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، مطبعة التقدم الإسلامي. تونس، ط١، ١٩١٢م.

١١- ابن خلدون(عبد الرحمن بن محمد ت: ٨٠٨هـ/١٤٠٥م): تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، دار الفكر، بيروت- لبنان، ٢٠٠٠م.

١٢- ابن خلكان(أحمد بن محمد ت: ٦٨١هـ/١٢٨٢م): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م.

١٣- الذهبي(محمد بن أحمد ت:٧٤٨هـ/١٣٤٧م): العبر في خبر من غبر، تح: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٨٥م.

١٤- الذهبي(محمد بن أحمد ت:٧٤٨هـ/١٣٤٧م): تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تح: عمر عبدالسلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٩٥م.

١٥- الذهبي(محمد بن أحمد ت:٧٤٨هـ/١٣٤٧م): سير أعلام النبلاء، شعيب الأرنؤوط- محمد نعيم العرق سوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٥م.

١٦- الذهبي(محمد بن أحمد ت:٧٤٨هـ/١٣٤٧م): الإعلام بوفيات الأعلام، تح: مصطفى بن علي عوض- ربيع أبو بكر عبد الباقي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٩٣م.

١٧- الزركشي(محمد بن ابراهيم ت:٧٩٤هـ/١٣٩١م): تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تح: محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، ط٢، ١٩٦٦م.

١٨- السبكي (عبدالوهاب بن علي ت:٧٧١هـ/١٣٦٩م): طبقات الشافعية الكبرى، تح: محمود محمد الطناحي – عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٩٩٢م.

١٩- ابن سعيد(علي بن موسى ت: ٦٨٥هـ/١٢٨٦م): رايات المبرزين وغايات المميزين، تح: محمد رضوان الداية، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ط١، ١٩٨٧م.

٢٠- السيوطي (عبدالرحمن بن أبي بكرت:٩١١هـ/١٥٠٥م): حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، محمد أبو الفضل ابراهيم، دار إحياء الكتب العربية، د.م، ط١، ١٩٦٧م.

٢١- الصفدي (خليل بن ايبك ت:٧٦٤هـ/١٣٦٢م): كتاب الوافي بالوفيات، تح: أحمد الأرناؤوط- تركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ط١، ٢٠٠٠.

٢٢- الضبي (أحمد بن يحيى ت: ٥٩٩هـ/١٢٠٢م): بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري- دار الكتاب اللبناني، القاهرة- بيروت، ط١، ١٩٨٩م.

٢٣- ابن العماد (عبد الحي بن أحمد ت: ١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: عبدالقادر الأرناؤوط- محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق- بيروت، ط١، ١٩٨٩م.

٢٤- ابن فرحون (ابراهيم بن علي ت: ٧٩٩هـ/١٣٩٦م): الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تح: محمد الأحمدى أبو النور، دار التراث، القاهرة، د.ت.

٢٥- ابن القطان (حسن بن علي ت: منتصف القرن ٧هـ/ ١٣م): نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تح: محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٩٠م.

٢٦- المركشي (عبد الواحد ت: ٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م): المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: محمد زينهم –محمد عزب، دار الفرجاني، القاهرة، ١٩٩٤م.

٢٧- المقري (أحمد بن محمد ت: ١٠٤١هـ/١٦٣١م): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت- لبنان، ط٥، ٢٠٠٨م.

٢٨- المقري (أحمد بن محمد ت: ١٠٤١هـ/١٦٣١م): أزهار الرياض في أخبار عياض، تح: مصطفى السقا وآخرون، مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة، ١٩٤٢م.

٢٩- ابن الملقن (عمر بن علي ت: ٨٠٤هـ/١٤٠١م): طبقات الأولياء، تح: نور الدين شريبه، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٩٩٤م.

٣٠- اليافعي(عبدالله بن أسعد ت: ٧٦٨هـ/١٣٦٦م): مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط٢، ١٩٩٣م.

٣١- ياقوت الحموي (ياقوت بن عبدالله ت:٦٢٦هـ/١٢٢٩م): معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م.

٢- المراجع:

١- إبراهيم (رجب عبد الجواد): المعجم العربي لأسماء الملابس في ضوء المعاجم والنصوص الموثقة من الجاهلية حتى العصر الحديث، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٢م.

٢- التليدي (عبدالله بن عبدالقادر): المطرب بمشاهير أولياء المغرب، دار الأمان، الرباط، ط٤، ٢٠٠٣م.

٣- حسن (زكي محمد): الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، دار المعارف، القاهرة ، د.ت.

٤- الزركلي (خير الدين): الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، ط١٥، ٢٠٠٢م.

٥- الناصري (أحمد بن خالد ت: ١٣١٥هـ/١٨٩٧م): كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى الدولتان المرابطية والموحدية، تح: جعفر الناصري- محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء،١٩٩٧م.

List of sources and references:

Sources:

1. Ibn al-Abar (Mohammed bin Abdullah P. 658 H/1259 M): Supplement to the Book of Relevance, I: Abdulsalam Al-Harras, Dar Al-Thawr, Beirut - Lebanon, 1995.
2. The Atabaki (Youssef Ben-Egri Berdi P. 874 H/1469 M): Zahira tars in the Kings of Egypt and Cairo, Bookshop House, Egyptian Press, Cairo-Egypt, E1, 1935 M.
3. Ibn Al-Ather (Ali bin Mohammed P.630 H/1232 M): Pulp in Genealogy, Muthanna Library, Baghdad, Iraq .W.D.
4. Ibn Al-Ather (Ali bin Mohammed P. 630 H/1232 M): Full in History, Science Books House, Beirut, Lebanon, E1, 1987.

5. Al-Baytaq (Abu Bakr ben Ali P. 555 H/1160 M): Al-Mahdi Ben Toumert's news book, I: Abdelhamid Hagyat, National Publishing and Distribution Company, Algeria, 1975.
6. Ibn Jubeir (Mohammed bin Ahmed P. 614 H/1217 M): Trip of Ibn Jubeir, Dar Sadr - Dar Beirut, Beirut, 1959.
7. Ibn Al-Jawzi (Abdulrahman bin Ali P. 597 H/1200 M): Regular in the History of Kings and Nations.
8. Al-Hamiri (Mohammed bin Abdul-Moneim P. 749 H/1348 M): Al-Rawad
Al-Ma 'atar Al-Qatar is a geographical lexicon with comprehensive indexes.
9. Ibn Haqel (Mohammed bin Hogel Tt: 367 H/977 M): Book Image of the Earth, Publications of the House of the Library of Life, Beirut, Lebanon, 1992.
10. Ibn al-Khatib (Mohammed bin Abdullah P. 776 H/1374 M): The Moshiyah Analysis in the Mention of the Marakshiya News, Islamic Progress Press. Tunisia, E1, 1912.
11. Ibn Khaldoun (Abd al-Rahman bin Mohammed P. 808 H/1405 M): The History of Ibn Khaldoun, Called the Diwan al-Beginner and Al-Khobar in the History of Arabs and Berbers, among their Major Stakeholders.

12. Ibn Khalkan (Ahmed bin Mohammed P. 681 H/1282 M): Death of the Eyes and News of the Sons of Time, I: Ihsan Abbas, Dar Sadr, Beirut, 1968.

13. Al-Dhabi (Mohammed bin Ahmed P. 748 H/1347 M): Al-Abr al-Khabbar al-Ghabar, I: Abu Hajar Mohammed al-Saeed bin Bassiouni Zaghloul, Beirut-Lebanon,E 1, 1985.

14. Al-Dahabi (Mohammed bin Ahmed P. 748 H/1347 M): History of Islam and Deaths of Celebrities and Flags.

15. Al-Dhabi (Mohammed bin Ahmad P.748 H/1347 M): Sayyr Alam al-Noblah, Shoaib al-Arnaout - Mohammed Naim al-Arq Soussi, Al-Raha Foundation, Beirut, E1, 1985.

16. Al-Dhabi (Mohammed bin Ahmed P.748 H/1347 M): Information about the Deaths of Flags.

17. Al-Zarqshi (Muhammad bin Ibrahim P. 794 H/1391 M): The History of the Monotheistic and Hafsayyah States.

18. Al-Sabki (Abdul Wahab bin Ali P. 771 H/1369 M): Greater Shafiya Classes, I: Mahmoud Mohammed Al-Tanahi - Abdel Fattah Mohammed Al-Hilu, Deserted for printing, publishing and distribution, E2, 1992.

19. Ibn Sa 'id (Ali bin Musa P. 685 H/1286 M): The Banners of the Preachers and the Aims of the Distinguishers.

20. Al-Sawaiti (Abdulrahman bin Abu Bakrat P. 911 H/1505 M): Hassan Lectured in the History of Egypt and Cairo, Mohammed Abu Fazal Ibrahim, Dar Al-Reyah Arabic Books, W.H, E1, 1967.

21. Al-Safadi (Khalil bin Ebek P. 764 H/1362 M): Al-Wafi's Book of Mortality, I: Ahmed Arnaut, Turki Mustafa, Al-Dar Al-Rehabilitation of Arab Heritage, Beirut, Lebanon, E1, 2000.

22. Al-Dhabi (Ahmed bin Yahya P. 599 H/1202 M): In Order to Seek the History of the Men of Andalusia, the Petitioner, Ibrahim al-Abyari, the Egyptian Book House, the Lebanese Book House, Cairo, Beirut, E1, 1989.

23. Ibn al-Amad (Abdul Hayi bin Ahmed P. 1089 H/1678 M): Nuggets of Gold in News of Gold.

24. Ibn Farhoun (Ibrahim Ibn Ali P. 799 H/1396 M): The Preamble of the Doctrine in Knowledge of the Eyes of Scholars of the Doctrine, I: Mohammed al-Ahmadi Abu al-Nur, Dar al-Heritage, Cairo, W.H.

25. Ibn al-Kattan (Hassan Ben Ali P. 7H/13H): Al-Jiman Organized to Arrange the above News of the Time.

26. Al-Marqeshi (Abdul Wahid P. 647 H/1249 M): Admirer in Summing Up Morocco News, I: Mohammed Zayhma -Mad Aziz, Dar al-Farfani, Cairo, 1994.

27. Al-Maqri (Ahmed bin Mohammed P. 1041 H/1631 M): Nafah al-Tayeb from Ghosn al-Andalus al-Ratif, I: Ihsan Abbas, Dar al-Sadr, Beirut, Lebanon,E5, 2008.

28. Al-Maqri (Ahmed bin Mohammed P. 1041 H/1631 M): Riyadh Flowers in Akhbar Ayyyad, I: Mustafa al-Saqa et al., Publishing Committee Press, Cairo, 1942.

29. Ibn al-Malakin (Omar ben Ali P.804 H/1401 M): Layers of Parents, I: Nur-Eddine Sharibah, Al-Khanji Library, Cairo, E2, 1994.

30. Al-Yafei (Abdullah bin Asaad P. 768 H/1366 M): Mirror of Jenin and Alert in the knowledge of What are Considered Incidents of Time, Islamic Book House, Cairo,E2, 1993.

31. Yakut al-Hamoui (Yakut bin Abdullah P. 626 H/1229 M): Lexicon of Countries, Sadr House, Beirut, 1977.

-**References**:

1. Ibrahim (Rajab Abd al-Jawad): The Arabic Lexicon of Clothing Names in the Light of Lexicons and Texts

Documented from Ignorance to Modern Times, Dar al-Aqaf al-Arabi, Cairo, E1, 2002.

2. Al-Tilidi (Abdullah bin Abdelkader): The singer of the famous Moroccan guardians, Dar al-Aman, Rabat, E4, 2003.
3. Hassan (Zaki Mohammed): Medieval Muslim Backpackers, Dar al-Ma'raq, Cairo, W.H.
4. Al-Zirkly (Khairuddin): Flags Dictionary of the Most Famous Arab Men and Women, Arabs and Orientalists, Dar al-Alam for Millions, Beirut - Lebanon, E15, 2002.
5. Al-Nasiri (Ahmed bin Khalid P. 1315 H/1897 M): Survey Book on the News of the Countries of Morocco Al-Aqsa, Marabatiyah and United States.

((العجائب في كتابات الرحالة العرب المسلمين المشارقة في القرن الثالث الهجري (ابن خرداذبة أنموذجاً)))

تقديم: حسن فطراوي إشراف: د. سلمان شحادة

الملخص

يشـــكل أدب الرحلة منبعاً من منابع العلوم والمعرفة على مر التاريخ لما تحتويه من معلومات تاريخية، وجغرافية واجتماعية وملامح الإبداع.

وضــمت الرحلة في صــفحاتها ما يســمى "العجائب" وهي طريقة من طرق تمثل العالم في إطار فني متخيل، يستخدم كل العناصر المفارقة للواقع ليأسس واقعاً جديداً، وهو ظاهرة نصــية متعلقة بالخطاب، وســمة من ســمات الملفوظ القصصي، يدخل في بنية الحكاية بتوظيفه كتقنية سردية وعنصر جمالي، لذلك يسعى هذا البحث إلى تحديد ماهية العجائب، ورصد تجلياتها في كتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة من خلال الوقوف على مدونات تعد إحدى مصـــادر المعرفة التاريخية محاولاً رصد ما هو مقبول تاريخياً.

وسـوف يتم تقسـيم الدراسـة إلى ثلاثة محاور أسـاسـية: يدور المحور الأول حول التعريف بمفهوم العجائب لغةً واصــطلاحاً، والمحور الثاني حول التعريف بـابن خرداذبـة وآثاره العلميـة، أمـا المحور الثـالث فهو عن العجـائب الواردة في

كتاب المســـالك والممالك لابن خرداذبة ويعد هذا المحور الجانب التطبيقي للدراسة والذي سيتم تتبع ظاهرة العجائب في الكتاب، من أجل تقديم رؤية تتعلق بأثر المرويات التاريخية في التكوين الثقافي للرحالة ابن خرداذبة.

الكلمات المفتاحية: العجائب، ابن خرداذبة، المسالك والممالك، التاريخ.

Summary

Travel literature constitutes a source of science and knowledge throughout history because of the historical, geographical and social information it contains and features of creativity.

The journey included in its pages what is called (wonders), which is one of the ways of representing the world within an imaginary artistic framework, which uses all the elements that contradict reality to establish a new reality, it is a textual phenomenon related to discourse , and a feature of the narrative narrative , which enters into the structure of the story by employing it as a narrative technique and an element , Jamal , therefore this research seeks to determine the nature of wonders, and monitor their manifestations in

the book al-masalik wal-mamlik by Ibn khurdadbeh by examining blogs are one of the sources to monitor what is historically acceptable.

The study will be divided into three basic axes: the first axis revolves around introducing the concept of wonders linguistically and terminologically, the second axis revolves around introducing Ibn khurdadhiba and his scientific works, while the third axis is about the wonders mentioned in Ibn khurdadhibas book Al-masalik wal-mamlik, and this axis is the applied aspect of the study, which will be followed. The phenomenon of wonders in the book, in order to provide a vision related to the impact of historical narrative's on the cultural formation of the traveler Ibn khurdadbeh.

Keywords: wonders, Ibn khurdadbeh, paths and kingdoms, history.

مقدمة:

يتطرق أدب الرحلات إلى جميع نواحي الحياة وتتوفر فيه مادة غنية، إذ تعد الرحلات منابع ثرية لمختلف العلوم، فهي سـجل حقيقي لمختلف العلوم ومظاهر الحياة ومفاهيم أهلها على مر العصور.

فالرحالة وهو يتجول في الأرض يلاحظ مظاهر مختلفة في الحياة ومما لا شك فيه ان الرحالين يختلفون في درجة وعيهم أي صدقهم وامانتهم وتنوع فهمهم للأمور حسب الظروف المتغيرة التي يخضعون لها.

وقد شـــغلت الرحلة مكانة مهمة في الثقافة العربية الإســـلامية، فاهتم العرب بها منذ القدم والفوا فيها الاسفار، لذلك تنوعت أسبابها ومقاصدها العلمية فنجد من الرحالة من اهتم بوصـــف الأقاليم والبلدان وما حوت من عجائب، واخر يزور الأماكن المقدسة والحج، واخر يرحل بغرض السياحة والتجارة فيصطدم بالعجائب والغرائب لمختلف الشعوب ويصفها.

ان توظيف عناصـــر العجيب والغريب في الكتابة الأدبية يتيح للكاتب تحقيق اهداف عدة، منها: اقتحام المسكوت عنه، والمحرم السياسي، وتحقيق لذة النص، وتجريب افق جديد للكتابة والابداع، والخروج من ضـــيق المألوف الى سعة الغرابة والتعجب.

ولقد لاقى" العجائب" اليوم اهتمام الدارســـين من حيث دلالته ووظيفته في التاريخ الإسلامي، ومنها هذه الدراسة التي تسعى الى استكمال تلك الحلقة من الدراسات من خلال الكشف عن مفهوم العجائب وتجلياته في التاريخ الإسلامي من خلال كتاب المســـالك والممالك لابن خرداذبة ، وهو كتاب يعود الى القرن الثالث الهجري الموافق التاسع الميلادي.

إشكالية البحث:

تتجلى إشكالية البحث في ما يلي: كيف كانت تجليات العجائب في كتاب المســـالك والممالك لابن خرداذبة؟ ومن هي الجهة التي اهتمت بمثل هذه

المعلومات التي قدمها ابن خرداذبة عن العجائب؟ هل هي الفئة الحاكمة ام الجمهور العام من القراء؟

أهمية البحث:

يعد البحث ذا أهمية بالنسبة للباحثين في حقل الدراسات الطبوغرافية والتاريخية، ومن جهة أخرى، فإن كتب الرحلات الإسلامية حافلة بالموروثات الثقافية والمعالم الأثرية التي يجب إلقاء الضوء عليها وإبرازها من خلال المنهج التاريخي.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى الإجابة عن تساؤلات عدة:

١-ما هو مفهوم العجائب في اللغة والاصطلاح؟

٢-من هو ابن خرداذبة؟ وما هي آثاره العلمية؟

٣-ما هي العجائب الواردة في كتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة؟

حدود البحث:

تتمثل الحدود المكانية للبحث بوصف العجائب في بلدان المشرق الإسلامي وجميع البلدان التي زارها ابن خرداذبة في رحلته، وشملت الحدود الزمانية ما شاهده وسمعه ابن خرداذبة الذي عاش في القرن الثالث الهجري الموافق التاسع الميلادي.

منهج البحث:

سيتم اعتماد المنهج التاريخي بشقيه الوصفي والتحليلي من خلال وصف وتسجيل الأحداث الواردة في كتاب المسالك والممالك خلال فترة الدراسة، وتحليل وتفسير هذه الأحداث على أسس منهجية وعلمية، كما سيتم اعتماد

المنهج الاستقرائي عندما ستوصف العجائب في الكتاب مما سيؤدي إلى التوصل إلى نتائج عدة من خلال المعلومات التي أوردها ابن خرداذبة.

أولاً – مفهوم العجائب لغةً واصطلاحاً:

جاءت لفظة العجيب في القرآن الكريم في قوله تعالى ((وقالت يا ويلتي ألَد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخاً إن هذا لشيء عجيب))[١]، كما وردت الكلمة أيضاً في قوله تعالى من سورة الرعد ((وإن تعجب فعجب قولهم أئذا كنا تراباً أننا لفي خلق جديد))[٢].

إضافة إلى أن لفظة العجيب وردت في المعاجم العربية فلسان العرب يعرفه بقوله: العجب إنكار ما يرد عليك لقلة اعتياده والنظر إلى شيء غير مألوف ولا معتاد[٣]، أما القاموس المحيط: العجب بالفتح أصل الذَنب ومؤخر كل شيء، والرجل يعجبه القعود مع النساء وتعجبت منه واستعجب منه أو العجيب كالعجب والعجاب ما جاوز حد العجب[٤]، وجاء في المعجم الوسيط : العجب روعة تأخذ الإنسان عند استعظام الشيء ، يقال: هذا أمر عجب ، وهذه قصة عجب ، وعجب عاجب، شديد المبالغة[٥].

هذا عن العجائب القديمة، أما فيما يخص الحديثة فقد اخترنا اثنين منها على سبيل المثال، فقد ورد في (قاموس المحيط) لـــ بطرس البستاني أن العجب: إنكار ما يرد عليك واستطرافه وروعة تعتري الإنسان عند استعظام الشيء ،

والتعجب: انفعال نفسي عما خفي سببه[٦]، في حين يرى جبران مسعود في (الرائد) أن العجب :انفعال يصيب المرء عند استعظام الشيء[٧] .

ومنه فالمعاجم الحديثة لا يختلف مفهومها عن المعاجم القديمة كثيراً وما يميزها حصر مفهوم "العجائب" في نطاق الانفعالات النفسية للإنسان .

وبعد الوقوف عند التحديد المعجمي لكلمة عجيب (عجائب) سيتم الأن استعراض أهم المفاهيم الاصطلاحية الخاصة بالعجائب.

ففي كتاب (عجائب المخلوقات والحيوانات وغرائب الموجودات) لصاحبه الإمام زكريا بن محمد بن محمود القزويني ، يذكر في مقدمته الأولى : أن العجب حيرة تعرض للإنسان لقصوره عن معرفة سبب الشيء أو عن معرفة كيفية تأثيره فيه[٨].

ولا يبتعد الجرجاني عن هذا التعريف كثيراً ، إذ يقر بأن العجب هو تغير النفس بما خفي سببه وخرج عن العادة مثله[٩] .

في حين يربط "شعيب حليفي" مفهوم العجائب بمفاهيم أخرى ويجعله عنصراً متعدد المسارات تتضمنه العلوم الإنسانية والاجتماعية ، فهو عنده يستقطب كل ما يثير الاندهاش والحيرة في المألوف واللامألوف[١٠] ، وبهذا لا يجعله حكراً على الأدب فقط .

وعلى ذلك يمكن القول أن مفهوم العجائب نسبي بحسب العصر التاريخي وان ما عرف في زمن ما أنه من باب العجيب قد يفقد هذه الصفة في زمن لاحق ، وأن ما أدهش السلف قد لا

يدهش الخلف ، لذا يجب عند دراسة العجائب تحديد الإطار التاريخي له والبعد عن العمومية والاقتصار على نموذج واحد لسبر غور تجليات العجائب في النص التاريخي المختار .

ثانياً- التعريف بابن خرداذبة وآثاره العلمية :

يمكن القول أن القرون الهجرية الأولى من عمر الدولة العربية والإسلامية قد مثلت فترة ذهبية على جميع الأصعدة ، ولا سيما الفكرية منها، إذ كانت المباحث التاريخية في أحسن أحوالها وإن ارتبطت عموماً بعلم الحديث والتيارات الفقهية ، ليأتي ابن خرداذبة ويسير بهذه المباحث في منحىً مختلف ، منحىً بعيد عن قراءة الوقائع التاريخية متبعاً منهجية جديدة ابتعد فيها عن الإسناد وشكل نسقاً تاريخياً جديداً منحه نوعاً من الاستقلالية عن مباحث علم الفقه والحديث، فعسانا نبلغ المرام(١١).

اسمه عبيد الله بن عبد الله المعروف بابن خرداذبة ومعنى الكلمة : إناء أو قنينة يودع فيها الخمر والكلمة فارسية، معناها تمجيد الخالق(١٢)، وقد صرح ابن خرداذبة باسمه الكامل في كتابه المسالك والممالك ، حينما قال: هذا كتاب فيه صفة الأرض ، وبنية الخلق عليها ، وقبلة أهل كل بلد ، والممالك والمسالك إلى نواحي الأرض تأليف أبي القاسم عبيد الله بن عبد الله ابن خرداذبة مولى أمير المؤمنين(١٣) ، كان مجوسياً اسلم على يد البرامكة(١٤)، وتولى إدارة البريد بنواحي الجبل في عهد الخليفة المعتمد(١٥)، العباسي واشتهر بابن خرداذبة.

هناك اختلاف في سنة ولادته ، إذ قيل أنه ولد عام ٢٠٥هـ/٨٢٠م [١٦]، وأرخه بعضهم بسنة ٢٠٧هـ /٨٢٢م، وقيل أنه ولد سنة ٢١١هـ/٨٢٦م[١٧].

وهو ينتمي لأسرة فارسية[١٨]، كان والده والياً على طبرستان [١٩]جنوبي بحر قزوين في أوائل القرن الثالث الهجري وذاع صيته بسبب نجاحه في إخضاع بعض مناطق الديلم [٢٠]، وضمها إلى حظيرة الإسلام[٢١].

وقد نشأ في إحدى بلاد فارس وهو من أسرة مثقفة حيث أرسله والده إلى بغداد ليدرس الأدب والموسيقى[٢٢]، ويعرف ابن خرداذبة أيضاً بالخراساني لأنه من منطقة خراسان ولكنه تعلم وترعرع في بغداد فهو من كبار علماء الجغرافية في الحضارة العربية الإسلامية وله نتاج جيد في معظم فروع العلوم الاجتماعية ، حيث أن اهتمام الخليفة العباسي المعتمد بابن خرداذبة نابع من مكانته العلمية والثقافية الواسعة وحكمته اللامعة ، فلا عجب فهو من أسرة عريقة ومثقفة وكان من أقرب الناس إلى الخليفة المعتمد بل كان من ندمائه الخاصين [٢٣].

وقد كان العصر الذي نشأ فيه ابن خرداذبة هو عصر نضوج علمي وانبعاث فكري يضاف إلى ذلك البيئة الأسرية التي ترعرع فيها والتي كان لها أثر بالغ في تنوع ثقافته واكتسابه العلم الغزير ونضوج عقله يضاف إلى ذلك ذكائه، بالتالي كان لهذا كله دور في إثراءه للمكتبة العربية بعظيم المؤلفات

التاريخية والجغرافية ، إذ قام بتأليف العديد من المصـــنفات ســـواء في مجال العلوم أو الفنون وهي :

١-كتاب المسالك والممالك :

وهو عبارة عن موسوعة موثقة في علم الجغرافية ، فقد قدم ابن خرداذبة فيه معلومات وافية وبالغة عن الدولة العباســية المترامية الأطراف ، وخاصـــة فيما يتعلق بالمسافات بين البلاد لعلاقتها الوثيقة بالرحلات التجارية والبريد[٢٤].

٢-كتاب اللهو والملاهي :

وهو كتاب يتحدث عن خلفيته في دراســـة الموســـيقى وهو مخترع آلة العود وبذلك يعد كتابه موسوعة فنية في عهده[٢٥] .

٣-كتاب الأنواء[٢٦] :

حفظ لنا هذا المصـــنف معلومات عن الفلك حيث بين منازل القمر الثمانية والعشـرين إضـافة التصـورات عدة مرتبطة بها، وهذا الكتاب مفقود وقد ذكره ابن النديم في الفهرست .

٤-كتاب جمهرة أنساب الفرس والنوافل:

وضـع كراتشـوفسـكي ملاحظاته على هذا المصـنف قائلاً : وجدت فيه اتجاهات شعوبية إيرانية.[٢٧]

٥-كتاب أدب السماع :

هذا الكتاب يتحدث عن أهل الموســـيقى وفن الغناء ألقاه في مجلس الخليفة المعتمد .

٦-كتاب الشراب :

وهو كتاب يهدف إلى إمتاع أصـحاب النفوذ والأغنياء بما لذ من طعام وشـراب وهو كتاب مفقود.

٧-كتاب الندماء والجلساء :

مفقود يبدو انـه قد تناول فيه جانب من الأدب الحفيف كون المؤلف كان مقرب من بلاط الخليفة المعتمد بسامراء ومن ندمائه وهو من أصحاب النفوذ[٢٨] .

٨-كتاب التاريخ :

وهو كتاب مفقود .

٩-كتاب الشاب[٢٩]:

يبدو ان هذا المصـنف المقصـود به كتاب الشـراب وإنما حدث سـقط لحرف الراء في النسخ لا سيما وان المصادر التي تحدثت عنه لم تذكر ان له مصنف بهذا الاسم .

هذه المؤلفات تنم عن ســـعة أفق ابن خرداذبة والمعرفة التي امتلكها والتي كانت السـبب في إنتاجه لهذه المصـنفات وإثراء المكتبة العربية بها لتكون عوناً للدارسين والمهتمين في المجالات التي عنيت بها.

ثالثاً- العجائب الواردة في كتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة:

ان مع اتساع رقعة الدولة العربية الإسلامية وامتداد أفاقها من الصين شرقاً وحتى الأطلسي غرباً وبلاد الأندلس شمالاً ، كان هذا حافزاً وتحدياً للإنسان العربي والمسلم على التنقل والاطلاع ووصف الأقاليم وتجميع ما هو غال ونفيس وما هو نادر وطريف ، والاطلاع على الغرائب واستطلاع العجائب[٣٠].

وان التراث الثقافي الإسلامي حوى الكثير من المؤلفات التي تناولت " العجائب " إلا أن عرضهم لها اختلف من كتاب لآخر ، وعليه فقد تنوعت تجليات العجائب بحسب المؤلف وتصوره له ، ومن خلال تتبع ما ورد في كتاب (المسالك والممالك) ، واستقراء النصوص التي ذكرت " العجائب" والكلمات الدالة عليها ، وجدنا أن " العجائب " تمثل في الكتاب ما يلي :

١-عجائب الأشخاص :

لقد أثار مؤلف المسالك والممالك انتباه القارئ لبعض الأشخاص من خلال الإشارة لقدرتهم

الاتيان بالعجائب في أعمالهم ومن ذلك ما حكاه الرحالة سلام الترجمان [٣١] الذي قام برحلة بتكليف

من الخليفة الواثق بالله [٣٢] إلى سد يأجوج ومأجوج[٣٣]، والقصة كما جاءت في كتاب المسالك والممالك كالآتي : حدثني سلام أن الواثق بالله لما رأى في منامه

كأن السد الذي بناه ذو القرنين بيننا وبين يأجوج ومأجوج قد أنفتح ، فطلب رجلاً يخرجه إلى الموضع فيستخبره ، فقال أشناس[٣٤]: ما ها هنا أحد يصلح إلا سلام الترجمان، وكان يتكلم بثلاثين لساناً ، فقال : فدعا بي الواثق وقال : أريد أن تخرج إلى السد حتى تعاينه وتجيئني بخبره ..... فشخصنا من سر من رأى (سامراء) ، بكتاب من الواثق بالله إلى إسحاق بن إسماعيل صاحب أرمينية ، ثم صرنا إلى مدن خراب فسرنا فيها عشرين يوماً ، فسألنا عن حال تلك المدن فخبرنا أنها المدن التي كان يأجوج ومأجوج يتطرقونها فيخربونها .

ويصف سلام السد فيقول : والسد الذي بناه ذو القرنين هو فج بين جبلين عرضه مائتا ذراع ، وهو الطريق الذي يخرجون منه فيتفرقون في الأرض فحفر أساسه ثلاثين ذراعاً إلى أسفل ، وبناه بالحديد والنحاس حتى ساقه إلى وجه الأرض ، ثم رفع عضادتين مما يلي الجبل جنبي الفج عرض كل عضادة خمس وعشرون ذراعاً في سمك خمسين ذراعاً ، وحدث الترجمان :قال : لما رأى الواثق بالله كأن السد الذي بناه ذو القرنين قد فتح وجهني وقال لي: عاينه وجئني بخبره ، وذهبت فوجدت عند السد قوماً يتكلمون بالعربية والفارسية مسلمون يقرؤون القرآن لهم مساجد، وكتاتيب فسألونا فقال : نحن رسل أمير المؤمنين فأقبلوا يتعجبون ويقولون: أمير المؤمنين! فنقول: نعم. فقالوا : شيخ هو أم شاب . قلنا: شاب . فقالوا : أين يكن ؟ فقلنا : بالعراق بمدينة يقال لها سر من رأى (سامراء) ، فقالوا : ما سمعنا بهذا قط[٣٥] .

يلاحظ هنا ان في هذا السد أمر يثير التعجب والاستغراب، حيث ان السد مبنى بالحديد والنحاس ومدعم بأعضده ضخمة هذا الأمر الذي أثار التعجب في هذه الرواية.

ولم يتوقف ظهور العجائب على يد سلام الترجمان فقط بل كان لغيره نصيب منها، حيث جاء في المسالك والممالك: ان يعقوب النبي عليه السلام ، كان يفرق من أخيه العيص فرقاً شديداً فأوحى الله إليه لا تخف فأني أحفظك كما حفظت أباك فأعطى يعقوب العيص عُشر غنمه رعباً والتماساً لدفع معَرته [٣٦] وكانت غنم يعقوب عليه السلام خمسة الاف وخمس مائة شاة فكان العشر خمس مائة وخمسين فأوحى الله إلى يعقوب عليه السلام لم تطمئن إلى قولي فأعطيت عشر غنمك للعيص فكذلك أجعل ولد العيص يملكون ولدك خمس مائة وخمسين عاماً فكان ذلك منذ يوم اخربت الروم بيت المقدس واستعبدت بني إسرائيل إلى أن فتح عمر بن الخطاب رضي الله عنه بيت المقدس ونفي عنه الروم [٣٧].

وقد أشار ابن خرداذبة إلى عجيبة راعي الغنم في أحدى قرى بلاد ما وراء النهر، قائلاً : وحدثني محدث ان مدينة تسمى كِسَ[٣٨] بمسيرة يومين من سمرقند [٣٩] فيها سكان الماء على بني أدم أحسن ما خلق الله وأن راعي غنم من هذه القرية كان يورد غنمه إلى عين ماء وبعض الرعاة كانوا يحدرون إليها ، ولا يقربونها وكان هذا الراعي يضرب الوتر واليراع والمزمار ، ويستمع إليه ويتلذذون بصوت غناءه فبينما هو ذات يوم قد ضرب بالوترين ونام على رأس

العين إذا عمد أهل العين جهاراً على وجه الماء وقبضـــوه كرهاً إلى عندهم فلما تم عليه يوم وليلة ولم ينصـــرف أهله اغتمَوا له فأتوا تلك العين لاختفاء الأثر فوجدوه وهو طـاف على وجـه المـاء يســـير وأهل العين يكرهونـه على الزمر وضرب الوتر وأهله يتضرعون إليهم ويسألونهم تخليته فلم يجيبوهم إلى سؤالهم ، فبقوا على ذلك ثمانية أيام لا يتجرأ أحد منهم أن يدخل العين فيخلصـــه فلما أصبحوا بعد اليوم الثامن فرأوا الراعي ولا أحداً معه منهم وخفى عنهم أمره(٤٠).

امتاز أســـلوب ابن خرداذبة في نقل الرواية بأنه لا يتحقق من المعلومات الشفوية التي نقلها فلا يناقشها ولا يحللها ، ففي روايته عن راعي الغنم في كِسَ قال (يستمع إليه ويتلذذون بصوت غنائه)، فقط نسبها إلى يستمع ولم يذكر من هو الذي كان يستمع أو من كان يقصد .

كما ذكر المؤلف على لســان أحد الرواة عجيبة تثير الاهتمام قائلاً : وروا أن الروم لما أخربت بيت المقدس كتب الله عليهم السبي في كل يوم فليس يمر يوم من أيام الدهر ألا وأمة من الأمم المطيفة بالروم يســـبون من الروم أنساناً(٤١).

٢- عجائب طبائع البلدان:

وحوى الكتاب ذكر لعجائب طبائع لبعض المجتمعات ومن ذلك، أن من دخل التبت(٤٢) لم يزل ضاحكاً مسروراً من غير سبب يعرفه حتى يخرج منها ، وقال المؤلف في موضـــع آخر: وأن من دخل من المســـلمين بلاداً في أخر الصين تدعى الشيلا بها الذهب الكثير استوطنها لطيبها ولم يخرج عنها البتة، وأيضاً قال في عجائب الموصل: من أقام بالموصل حولاً ، وجد في قوته فصلاً

بيناً ،وقال : من أقام بقصبة الأهواز[٤٣]حولاً ، فتفقد عقله وجده ناقصاً ولا يوجد بها أحد ، وذلك لأن الحمى بها دائمة ، وقال أيضـــاً : ومن أطال الصـــوم بالمصيصة [٤٤] في الصيف هاج به المرار الأسود ، وربما جن[٤٥].

يبدو ان هذه المعلومات التي قدمها ابن خرداذبة جاءت من نوع الحكاية والقصـص الشـعبية والخرافية التي نقلها له العديد من الرواة ، فهل من المعقول ان من يدخل التبت يظل ضـاحكاً مسـروراً من غير سـبب! أو من أقام بقصـبة الأهواز يفقد عقله! .

٣- عجائب الأرض :

جاء في المسالك والممالك الكثير من الإشارات المتعلقة بعجائب الأرض ، ومن أمثلة ذلك :

نار بصـــقلية بالأندلس وبالهند تشـــتعل في حجارة أن أراد أحد أن يحمل منها شـعلة لم تتَّقد ، وانه ليس بصـقلية النمل الكبار الذي يسـمى فرسـاناً ولا في بلاد قرطبة [٤٦] قردة لكثرة السباع فيها[٤٧] .

وعن المطر قال في حديثه عن بلاد الروم: ....وفي بلاد الروم على بحر الخزر[٤٨] بلاد تدعى المستطيلة، المطر بها دائم الشتاء والصيف لا يقدر أهلها على دياس زرعهم وتذريتها وإنما يجمعونها في البيوت في الســـنبل فيخرجون منها بقدر حاجتهم فيفركونه بالأيدي ثم يطحن ويخبز، وفي بلادهم بزاة [٤٩]

كثيرة الغربان عندنا أنما هي أقاطيع وليس يقدرون مع كثرتها على اتخاذ الدجاج[٥٠] .

وفي سياق الكلام قال عن أهل الحجاز واليمن أنهم يمطرون الصيف كله ويخصبون في الشتاء فمطر صنعاء وما والاها حزيران وتموز وأب وبعض أيلول من الزوال إلى المغرب يلقى الرجل الرجل نصف النهار فيكلمه فيقول عَجل قبل الغيث لأنه لابد من المطر في هذه الأيام[٥١].

ربما ورد ذكر لبعض العجائب كونه لم يكن مدركاً في عصره لطبيعة التنوع الناجم عن القرب والبعد عن خط الاستواء ، بالتالي رأى من العجائب كونها تختلف عما عاشه في بلده .

وتحدث صاحب الكتاب عن أحد العجائب في الأندلس حيث قال: ومن العجائب بيتان وجدا بالأندلس عند فتحها في مدينة الملوك، ففتح أحد البيتين وهو بيت الملوك فوجد فيه أربعة وعشرون تاجاً عدَّة ملوكهم لا يُدرى ما قيمة التاج منها وعلى كل تاج أسم صاحبه ومبلغ سنه وكم ملك من السنين ووجد في هذا البيت مائدة سليمان بن داوود عليهما السلام، ووجد على البيت الآخر أربعة وعشرون قفلاً ولا يدرون ما في البيت حتى ملك لذريق وهو آخر ملوكهم فقال لا بد لي من أن أعرف ما في هذا البيت وتوهَّم ان فيه مالاً وجوهراً فاجتمعت إليه الأساقفة والشمامسة [٥٢] فاعظمو ذلك عليه وسألوه ان يأخذ بما فعلت الملوك قبله فأبى إلا أن يفتحه فقالوا أنظر ما يخطر على بالك من مال تراه فيه فنحن نجمعه لك وندفعه إليك ولا تفتحه فعصاهم وفتح الباب فإذا في البيت

تصاوير العرب على خيولهم بعمائمهم ونعالهم ، فدخلت العرب بلدهم في السنة التي فتح فيها ذلك الباب[٥٣] .

وقال ابن خرداذبة ان في أرض الأندلس فرس من نحاس قائلاً بكفيه كذا باسطاً يده أي ليس خلفي مسلك فلا يضأ تلك الأرض أحد إلا ابتلعته النمل[٥٤].

وفيما يخص ذكره للعجيب من النباتات فقد أشتمل الكتاب على بعض الأمثلة نحو قوله: وفي جبال الزابج[٥٥] شجر الكافور[٥٦] تظل الشجرة مائة انسان وأكثر وأقل ينقب أعلى الشجرة فيسيل منها من ماء الكافور عدة جرار ثم ينقر أسفل من ذلك وسط الشجرة فينساب منها قطع الكافور وهو صمغ ذلك الشجر[٥٧] .

ويقول: أن في بلاد الروم شجرة من نحاس عليها سودانية [٥٨] من نحاس فإذا كان أوان الزيتون صفرت السودانية التي من نحاس فتجئ كل سودانية من الطَيارات بثلث زيتونات زيتونتين برجليها وزيتونة بمنقارها حتى تلقيها على تلك السودانية النحاس فيعصر أهل رومية [٥٩] ما يكفيهم لأدامهم وسرجهم[٦٠] سنتهم إلى قابل[٦١] .

٤- عجائب المخلوقات:

كان للمخلوقات وما يرتبط بهم من العجائب حضور واضح في كتاب المسالك والممالك، ومن ذلك حديثه عن وصف الناس في جزيرة الرامي الهندية

، حيث قال: وبها ناس عراة في غياض[٦٢] لا يفهم كلامهم لأنه صـــغير وهم صـغار يسـتوحشـون من الناس طول الانسـان منهم أربعة أشـبار للرجل ذكر صغير وللمرأة فرج صغير ، شعر رؤوسهم زغب أحمر ويتسلقون على الأشجار بأيديهم من غير أن يضـعوا أرجلهم عليها[٦٣] ، ويقول أيضـاً: وجزيرة فيها ناس سود مفلفلون يأكلون الناس أحياء يشرحونهم تشريحاً[٦٤].

وكان للعجائب من الحيوانات نصـيب فيما ورد في الكتاب كونه لم يألفها في بلده ومن ذلك قوله: في الصـــين الكركدن وهو دابة لها قرن واحد في الجبهة طوله ذراع وغلظه قبضـتان فيه صـورة من أول القرن إلى أخره فإذا شـق رأيت الصـورة بيضـاء في سـواد كالسَـيج[٦٥] في صـورة إنسـان أو دابة أو سـمكة أو طاووس أو غيره من الطير[٦٦] .

أما المخلوقات العجيبة في البحار نذكر منه قوله: وفي البحر الشـــرقي[٦٧] فيه سـمك طول السـمكة مائة باع[٦٨] ومائتا باع يخاف منها على السـفن فتنفر بضـرب الخشـب على الخشـب ، وفيه سـمك مقدار الذراع يطير وجوهه كوجوه البوم، وفيه سـمك طول السـمكة عشـرون ذراعاً في جوفها مثلها وفي الأخرى مثلها إلى أربع سـمكات، وفيه سـلاحف اسـتدارة السـلحفاة عشـرون ذراعاً وفي بطنها مقدار الف بيضـة ، وفيه سـمك على خلقة البقر تلد وترضـع وتُعمل من

جلودها الدرق[٦٩]، وسمك على خلقة الجمل ، وفيه طير تجمع من قذى البحر عند سكونه فتبيض وتفرخ على وجه الماء لا تخرج إلى الأرض[٧٠].

يبدو ان هذه المعلومات فيها بعض المبالغة حيث أنه لم يشاهد بعينه هذه العجائب من المخلوقات إذ لم يعول على الرحلة والترحال فقط وإنما أعتمد على سماع الأخبار والروايات المتعددة عن طريق ثقات زمانه من الناس وفضلاً عن ذلك فأنه قد صرح بأنه قد أخذ من بعض الناس مشافهة ولقد أستقى ابن خرداذبة معلوماته عن طريق بعض رجال الدولة وغيرهم.

٥- عجائب العمران:

تحدث المؤلف عن الشواهد المادية للحضارات السابقة، ومن الآثار العمرانية التي أشار إليها بقوله: الهرمان بمصر سمك كل واحد منهما أربع مائة ذراع كلما أرتفع دقً وهما رخام ومرمر والطول أربع مائة ذراع في عرض أربع مائة ذراع ، بذراع الملك ، مكتوب عليها بالمسند[٧١]، كل سحر وكل عجيب من الطب والنجوم، ويقال والله أعلم أنهما من بناء بطليموس القلوذي[٧٢]،الملك ، ومكتوب عليها أني بنيتهما فمن كان يدعَى قوة في ملكه فليهدمها فإن الهدم ايسر من البناء ، وإذا خراج الدنيا لا يقوم بهدمهما ، قال وإلى جانب الهرمين عشرة أهرام أصغر منهما[٧٣].

ومن ذلك أيضاً في حديثه عن مدينة رومية والإسكندرية يقال أنهما بنيتا في ثلثمائة سنة[٧٤] وأن أهلهما مكثوا سبعين سنة لا يمشون فيها بالنار الا بخرقٍ

سود مخافةً على أبصارهم من شدة بياض حيطانها ومنارتها العجيبة على سرطان من زجاج في البحر ، وكان فيهما سوى أهلها ستمائة الف من اليهود خولاً لأهلها(٧٥).

ولم يغب عن الإشارة إلى بعض طرق البناء الغريبة عن المعتاد حيث قال: ومنف(٧٦) مدينة فرعون التي كان ينزلها وأتخذ لها سبعين باباً وجعل حيطان المدينة بالحديد والصفر (٧٧) وفيها كانت الأنهار التي تجري من تحت سريره وهي أربعة(٧٨).

ومن الآثار العمرانية التي أشار إليها كذلك الأساطين(٧٩) ومن ذلك قوله: وأسطوانتان بعين شمس(٨٠)من أرض مصر من بقايا أساطين كانت هناك في رأس كل أسطوانة طوق من نحاس يقطر من أحداهما ماء من تحت الطوق إلى نصف الأسطوانة لا يجاوزه ولا تنقطع قطره في ليل ولا نهار فموضعه من الأسطوانة أخضر رطب ولا يصل الماء إلى الأرض وهو من هوشنهك(٨١)(٨٢).

لا شك أن العجائب العمرانية التي ذكرها ابن خرداذبة لا زالت إلى الأن لغز يحير العلماء والباحثين وخاصةً فيما يتعلق بحديثه عن الأهرامات التي بنيت بطريقة هندسية مدهشة وغريبة، إذ كان الدافع وراء بناء عظمة هذه الأهرامات اعتقاد المصريين القدماء بحياة أخرى بعد الموت، إذ أن الفرعون ينتقل بعد موته إلى السماء ويخلد مع الألهة ، ورجوع الروح إلى الجسد يتوقف على بقاء

الجسد سالماً دون تلف، لذلك أهتم ملوك الدولة القديمة بتحنيط أجسادهم ، ويلاحظ أن اهتمام الفراعنة في بناء قبورهم دون الاهتمام ببناء بيوتهم بنفس الدرجة، بدلالة عدم وصول بنايات بيوت الفراعنة، والسبب هو اعتقادهم بأن الحياة الدنيا هي مؤقتة تدوم مدة معينة من الزمن ، لذا بنوا بيوتهم من مواد بسيطة كالقصب واللبن وهذه البيوت يمكن ترميمها ، أما الحياة الأخرى فهي دائمة ويحتاج الفرعون فيها إلى قبر يدوم إلى الأبد.

خاتمة:

أخيراً، فإنه من خلال هذه المعلومات استطاع ابن خرداذبة أن يقدم دراسة تاريخية للعجائب الموجودة في البلدان التي زارها، إذ تبين أن هناك الكثير من التراكمات الثقافية والعناصر الحضارية التي ورثها سكان الأمصار المذكورة في الكتاب وهذا يرجع إلى أن تلك المناطق شهدت حضارات متعددة.

وقد عكست هذه العجائب بعض الطقوس والعادات والحقائق التاريخية التي عرفتها بعض الأمم ، وزخر الكتاب بمعلومات متنوعة شملت المجالات الدينية والتاريخية والجغرافية، وتخلل عرض المادة العلمية ذكر الروايات العجيبة التي تحلق بالقارئ إلى فضاء بعيد عن الواقع.

وقد اتبع المؤلف أساليب متعددة من أجل جذب الجمهور العام من القراء من خلال حديثه عن بعض القصص العجيبة أو الأسطورية التي لم تكن مألوفة في بلده وكونه لم يكن يعرف عنها شيء، أي أن بعض العجائب جاءت للتعبير عن ثقافة عصره كون الإنسان كان محدود المعرفة ، وبالتالي كانت معارفه بسيطة إلا من ملك إمكانية السفر والترحال.

هوامش البحث:

١. القرآن الكريم، سورة هود، الآية ٧٢.

٢. لقرآن الكريم، سورة الرعد، الآية ٥ .

٣. ابن منظور (محمد بن مكرم ت: ٧٧١هـ/١٣٦٩م): لسان العرب، دار صادر، بيروت ، د.ت ، مج١ ، ص ٥٨١،٥٨٠.

٤. الشيرازي (مجد الدين محمد بن يعقوب ت: ٨١٧هـ/١٤١٤م): القاموس المحيط، د.د ، د.م ، د.ت ، ج١ ، ص ١١٩ .

٥. مجموعة مؤلفين : المعجم الوسيط ، مكتبة الشروق الدولية ، القاهرة ، ط٤ ، ٢٠٠٣م ، ص ٨٥٤ .

٦. البستاني (بطرس): محيط المحيط قاموس مطول للغة العربية ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٨٧م ، ص ٥٧٦ .

٧. مسعود(جبران): الرائد معجم لغوي عصري، دار العلم للملايين، بيروت، ط٧، ١٩٩٢م ، ص ٥٤١ .

٨. القزويني (زكريا بن محمد بن محمود ت : ٦٨٢هـ /١٢٨٣م): عجائب المخلوقات والحيوانات وغرائب الموجودات ، مؤسسة الأعلى للمطبوعات ،بيروت ، ط١ ، ٢٠٠م ، ص ١٠ .

٩. الجرجاني (علي بن محمد ت: ٨١٦هـ /١٤١٣م): معجم التعريفات ،تح : محمد صديق المنشاوي ، دار الفضيلة ، القاهرة ، د.ت ، ص ١٢٣- ١٢٤ .

١٠. حليفي (شعيب) : هوية العلامات في العتبات وبناء التأويل ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، ط١ ، ٢٠٠٥م ، ص ١٨٩ .

١١. الصياد (خلاصة) : قراءة في الواقع الاقتصادي للعالم الإسلامي في القرن الثالث الهجري من خلال كتاب البلدان لليعقوبي ، مجلة جامعة حمص ،العدد ، ٢٠٢٣م ، حمص ، ٢٠٢٣م، ص ١٨،

١٢. كراتشكوفسكي (أغناطيوس) : تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، تر: صلاح الدين عثمان هاشم ، جامعة الدول العربية ، مصر ، د.ت ، ص ١٥٥.

١٣. ابن خرداذبة (عبيد الله بن عبد الله ت: ٣٠٠هـ /٩١٢م): المسالك والممالك ، دار صادر ، بيروت، ١٨٨٩م ،ص ٤.

١٤. البرامكة :أسرة يعود أصلها إلى برمك الذي كان يعمل في معبد النوبهار في بلخ وكان من أصل مجوسي ثم دخلوا في الإسلام وعمل ولده خالد بن برمك في خدمة الخليفة هارون الرشيد .وكذلك يحيى بن برمك ، المسعودي (علي بن الحسين ت: ٣٤٦هـ /٩٥٧م) : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ج٤ ، ص ٢٣٣؛ الزركلي (خير الدين ت: ١٣٩٦هـ /١٩٧٦م) : الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٥ ، ٢٠٠٢م، ج٢ ، ص ٢٩٥ .

١٥. المعتمد : هو أحمد بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد بويع بالخلافة بعد مقتل المهتدي سنة ٢٥٦هـ . ودامت خلافته ثلاثة وعشرين سنة ، السيوطي (جلال الدين ت: ٩١١هـ /١٥٠٥م) : تاريخ الخلفاء ، دار ابن حزم ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٣م ، ص ٢٨٩.

١٦. أحمد (أحمد رمضان): الرحلة والرحالة المسلمون ، دار البيان العربي، جدة ، د.ت ، ص ٥٥.

١٧. قنديل (فؤاد) : أدب الرحلة في التراث العربي ، ، مكتبة الدار العربية للكتاب ، القاهرة ، ط١، ٢٠٠٢م ، ١٢٥.

١٨. رســـكي (مينو): الجغرافيون والرحالة المســـلمون ، تر: عبد الرحمن حميدة ، الجمعية الجغرافية الكويتية ، الكويت ، ١٩٨٥م ، ص ٨ .

١٩. طبرستان : كانت منطقة الجبال العالية ويتألف معظمها مما يعرف اليوم بجبال البرز الممتدة في حذاء الســـاحل الجنوبي لبحر قزوين مما في شرق قومس وشمالها وتعرف لدى البلدانيين الأولين بطبرستان، لسترنج (كي): بلدان الخلافة الشرقية ،تر: بشير فرنسيس وكوركيس عواد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٥م ، ص ٤٠٩ .

٢٠. الديلم : تقع في بلاد فارس . طولها خمس وسبعون درجة . وعرضها ست وثلاثون درجة وعشر دقائق ، الحموي (شهاب الدين ياقوت بن عبد الله ت: ٦٢٦هـ/١٢٢٨م): معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، د.ت ، ج٢، ص ٥٤٤ .

٢١. قنديل ، أدب الرحلة ، ص ١٢٥.

٢٢. أحمد ، الرحلة والرحالة المسلمون ، ص ٥٦ .

٢٣. الدفاع (علي بن عبد الله) : رواد علم الجغرافية في الحضـــارة العربية الإسلامية ، مكتبة التوبة ، د.م ، د.ت ، ص ٧٥ .

٢٤. الدفاع ، رواد علم الجغرافية ، ص ٧٦ .

٢٥. بروكلمان (كارل): تاريخ الأدب العربي ،تر: يعقوب بكر ورمضان عبد التواب ، دار المعارف ، د.م ، ط٣، د.ت ، ج٤ ، ص ٦٤٠ .

٢٦. ابن النديم ، الفهرست ، ص ٢٣٩ .

٢٧. كراتشـــكوفســـكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ص ١٥٦؛ حمود (خضـر موسـى محمد): أدب الرحلات وأشـهر أعلامه العرب ونتاجهم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠١١م، ص ٢٨ .

٢٨. ابن النديم ، الفهرسـت ، ص ٢٣٩ ؛ بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي ، ج٣ ، ص ٦٤٠ .

٢٩. كراتشـــكوفســـكي ، تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، ص ١٥٦؛ حمود ، أدب الرحلات ، ص ٢٨ ؛ الغزالي (علي) الشـــريفي (بيداء) :ابن خرداذبة ومكانته العلمية دراسة تاريخية ، د.د ، كربلاء ، د.ت ، ص ٩ .

٣٠. ســـلطان (نزار) : المســـجد الأموي من خلال رحلة ابن جبير ٥٤٠-٦١٤هـــ/ ١١٤٥- ١٢١٧م، مجلة جامعة حمص ، مج ٤٥، العدد ٢، ٢٠٢٣م ، حمص ، ٢٠٢٣م ، ص ١٠٥

٣١. سـلام الترجمان: رجل من العراق عاش في زمن الخليفة العباسـي الواثق بالله . ولا نعرف شـــيئاً من أخباره . ولم يرد له ذكر في أي من المعاجم . كما لم يذكره المؤرخون وكتاب الســـير ، قنديل ، أدب الرحلة ، ص ٩١.

٣٢. الواثق بالله : الواثق بالله هارون . ابن المعتصـم بن الرشـيد ولي الخلافة بعهد من أبيه حكم بين عامي ٢٢٧- ٢٣٢هـــ /٨٤١ ـــ ٨٤٧م. وهو تاسع خلفاء بني العباس . توفي سنة ٢٣٢هـ /٨٤٧م ،السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص ٢٧٠ .

٣٣. يأجوج ومأجوج : قيل : ان يأجوج ومأجوج أبنا يافث بن نوح ، عليه السلام . وهما قبيلتان من خلق جاءت القراءة بهمز وبغير همز . وهما أسمان أعجميان . وقد ورد ذكر يأجوج ومأجوج في قوله تعالى ((قالوا يا ذا القرنين ان يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجاً على أن تجعل بيننا وبينهم سدا)) ، الحموي ، معجم البلدان ، ج٣ ، ص ١٩٧ ؛ القرآن الكريم ، سورة الكهف ، الآية ٩٤ .

٣٤. أشناس : هو غلام المتوكل والمنتسب إليه أبو علي الحسن بن إسماعيل بن أشناس الأشناسي ، ابن الأثير (عز الدين الجزري ت: ٦٣٠هـ /١٢٣٢م) : اللباب في تهذيب الأنساب ، مكتبة المثنى ، بغداد ، د.ت ، ص ٦٦ .

٣٥. ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ١٦٢- ١٦٤ .

٣٦. المعَرة: بالفتح- للجيش- وللقوم: هي أن ينزلوا يزروع الغير. فيأكلون منها دون علم، عمارة (محمد):قاموس المصطلحات الاقتصادية، دار الشروق، بيروت، ط١ ، ١٩٩٣م، ص ٥٤٦، ٥٤٧.

٣٧. ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص ١١٨ .

٣٨. كِسَ: بلدة تقارب سمرقند. وهي مدينة خصيبة جرومية تدرك فيها الفواكه أسرع ما تدرك بسائر ما وراء النهر ، الحموي ، معجم البلدان ، ج٤ ، ص ٤٦٠ ،

٣٩. سمرقند: بلد معروف مشهور . قيل: إنه من أبنية ذي القرنين بما وراء النهر . وهو قصبة الصغد مبنية على جنوبي وادي الصغد مرتفعة عليه . طولها تسع وثمانون درجة ونصف . وعرضها ست وثلاثون درجة ونصف ، الحموي ، معجم البلدان، ج٣ ، ص ٢٤٦، ٢٤٧ .

٤٠. ابن خرداذبة ، المسالك والممالك، ص ١٨٣ .

٤١. ابن خرداذبة ، المسالك والممالك، ص ١١٧، ١١٨ .

٤٢. التبت: بلد بأرض الترك، قبل:هي في الإقليم الرابع المتاخم لبلاد الهند. طولها من جهة المغرب مائة وثلاثون درجة، وعرضها سبع وثلاثون درجة، الحموي ، معجم البلدان، ج٢، ص١٠ .

٤٣. الأهواز: كورة بين البصرة وفارس . طوله أربع وثمانون درجة وعرضه خمس وثلاثون درجة وأربع دقائق ، الحموي ، معجم البلدان ، ج١ ، ص ٢٨٥.

٤٤. المصيصة: مدينة على شاطئ جيحان من ثغور الشام بين أنطاكية وبلاد الروم تقارب طرسوس . وكانت من مشهور ثغور الإسلام قد رابط بها الصالحون قديماً . وبها بساتين كثيرة يسقيها جيحان ، الحموي ، معجم البلدان ، ج٥ ، ص ١٤٥.

٤٥. ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص ١٧٠ .

٤٦. قرطبة: مدينة عظيمة بالأندلس وسط بلادها وكانت سريراً لملكها وقصبتها وبها كانت ملوك بني أمية ومعدن الفضلاء ومنبع النبلاء من ذلك الصقع، الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص ٣٢٤ .

٤٧. ابن خرداذبة، المسالك والممالك ، ص ١٥٥.

٤٨. بحر الخزر: هو بحر طبرستان وجرجان وآبسكون كلها واحد. وهو بحر واسع عظيم لا أتصال له بغيره . ويسمى أيضاً: الخراساني والجبلي ، الحموي ، معجم البلدان ، ج١ ، ص ٣٤٢.

٤٩. بزاة: هو حيوان ، لكن لم يتم العثور على ترجمة خاصة بشكله وصنفه.

٥٠. ابن خرداذبة، المسالك والممالك ، ص ١٥٥، ١٥٦.

٥١. ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص ١٥٥، ١٥٦.

٥٢. الأساقفة والشمامسة: هم خادمي الكنيسة ، اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب ت: ٢٩٢هـ /٩٠٤م): تاريخ اليعقوبي ، تح: عبد الأمير مهنا، شركة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ط١ ، ٢٠١٠م ، ج١ ، ص ١٠٦.

٥٣. ابن خرداذبة، المسالك والممالك ، ص ١٥٧ .

٥٤. ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص ١١٥ .

٥٥. جبال الزابج: هي جزيرة في أقصى بلاد الهند وراء بحر هركند في حدود الصين. وقيل: هي بلاد الزنج ، الحموي، معجم البلدان ، ج٣ ، ص ١٢٤ .

٥٦. الكافور: نبت طَيِّب زهره كزهر الأقحوان ، مسعود ، الرائد معجم لغوي ، ص ٦٥٥ .

٥٧. ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص ٦٥ .

٥٨. سودانية: لم يتم العثور على ترجمة لهذه الكلمة .

٥٩. رومية: مدينة في رياسة الروم وعلمهم . وهي مسماة باسم رومي بن لنطي بن يونان بن يافث بن نوح . عليه السلام. تقع في الإقليم الخامس ، الحموي ، معجم البلدان ، ج٣ ، ص ١٠٠

٦٠. السرج: هو ما يوضع على ظهر الجمل أو الفرس ليُركب ، مسعود ، الرائد معجم لغوي ، ص ٤٣٨ .

٦١. ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص ١١٥، ١١٦ .

٦٢. غياض: الماء، مسعود ، الرائد معجم لغوي ، ص ٥٨٦.

٦٣. ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص ٦٥.

٦٤. ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص ٦٥.

٦٥. السَيج: هو ما يحاط به من حائط أو شوك . والسيج أيضاً : الطيلسان ، ابن منظور ، لسان العرب ، ج٧ ، ص ٣١٦ .

٦٦. ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص ٦٧ .

٦٧. البحر الشرقي : هو بحر الصين . وهو أحد أذرع غرب المحيط الهادي يمتد مباشرة قبالة الساحل الشرقي للصين، الخياط (نمير نذير): البحار والمحيطات ، د.د ، د.م ، ٢٠٢١م ، ص ٢٠ .

٦٨. باع: في المقاييس: قدر مد اليدين وما بينهما ، عمارة، قاموس المصطلحات الاقتصادية، ص ٧٩ ، هنتس (فالتر) : المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري ، تر: كايل العسلي ، منشورات الجامعة الأردنية ، الأردن ، ١٩٧٠م ، ص ٨٢ .

٦٩. الدرق: التَرس من جلد ليس فيه خشب ولا عقب ، مسعود، الرائد معجم لغوي ، ص ٣٥٨.

٧٠. ابن خرداذبة، المسالك والممالك ، ص ٦١ .

٧١. المسند: نوع من الخطوط ، مسعود، الرائد معجم لغوي، ص ٧٣٢ .

٧٢. بطليموس القلوذي: هو رياضي وعالم فلك وجغرافي ومنجم وشاعر من أهل القرن الثاني للميلاد . ولد نحو سنة ١٠٠م. وتوفي قرب الإسكندرية نحو ١٨٠م، حسن (سليم): مصر القديمة من أواخر عهد بطليموس الثاني إلى أخر عهد بطليموس الرابع ، د.د ، د.م ، د.ت ، ص ٧٠ .

٧٣. ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص ١٥٩ .

٧٤. لا نعلم ماذا يقصد بـــ (بنيتا في ثلثمائة سنة) . ربما يكون مدة بنائهما أو تاريخ بنائهما .

٧٥. ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص ١٦٠.

٧٦. منف: مدينة بمصر وتعرف بمدينة فرعون . وأول من سكن مصر بعد أن أغرق الله تعالى قوم نوح . عليه الســـلام . بيصـــر بن حام بن نوح فسكن منف وهي أول مدينة عمَرت بعد الغرق ، الحموي ، معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٢١٣ ،

٧٧. الصفر: النحاس الأصفر، مسعود، الرائد معجم لغوي ، ص ٤٩٦.

٧٨. ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص ١٦١.

٧٩. الأساطين: العواميد التي يقوم عليها البناء، مسعود ، الرائد معجم لغوي، ص ٧٢.

٨٠. عين شـمس: اسـم مدينة فرعون موسـى بمصـر. بينها وبين الفسـطاط ثلاثة فراســخ. وكانت مدينة كبيرة وهي قصــبة كورة اتريب . وهي الآن خراب وبها آثار قديمة وأعمدة تسميها العامة مسال فرعون ، الحموي ، معجم البلدان ، ج٤ ، ص ١٧٨– ١٧٩.

٨١. هوشنهك: لم يتم العثور على ترجمة خاصة بهذه الكلمة.

٨٢. ابن خرداذبة، المسالك والممالك ، ص ١٦١.

قائمة المصادر والمراجع:

-القرآن الكريم.

-**المصادر:**

- **ابن الأثير(عز الدين الجزري ت: ٦٣٠هـ/١٢٣٢م):**

١- اللباب في تهذيب الأنساب، مكتبة المثنى ، بغداد، د.ت .

-**الجرجاني(علي بن محمد ت: ٨١٦هـ /١٤١٣م):**

٢- معجم التعريفات ، تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، د.ت .

-**الحموي(شهاب الدين ياقوت بن عبد الله ت: ٦٢٦هـ/١٢٢٨م):**

٣- معجم البلدان، دار صادر، بيروت، د.ت .

-**ابن خرداذبة(عبيد الله بن عبد الله ت: ٣٠٠هـ/٩١٢م):**

٤- المسالك والممالك، دار صادر، بيروت، ١٨٨٩م .

-**السيوطي(جلال الدين ت: ٩١١هـ/١٥٠٥م):**

٥- تاريخ الخلفاء ، دار ابن حزم ، بيروت، ط١ ، ٢٠٠٣م.

-**الشيرازي(مجد الدين محمد بن يعقوب ت: ٨١٧هـ/١٤١٤م):**

٦- القاموس المحيط، د.د ، د.م ، د.ت .

-**القزويني(زكريا بن محمد بن محمود ت: ٦٨٢هـ/١٢٨٣م):**

٧- عجائب المخلوقات والحيوانات وغرائب الموجودات ، مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت، ط١، ٢٠٠م .

-**المسعودي(علي بن الحسين ت: ٣٤٦هـ /٩٥٧م):**

٨- مروج الذهب ومعادن الجوهر، المكتبة العصرية ، بيروت ، د.ت .

-ابن منظور(محمد بن مكرم ت: ٧٧١هـ /١٣٦٩م):

٩- لسان العرب ، دار صادر، بيروت، د.ت .

-ابن النديم(محمد بن إسحاق ت: ٣٨٥هـ /٩٩٥م):

١٠- الفهرست ، دار المعرفة، بيروت ، د.ت .

-اليعقوبي(أحمد بن أبي يعقوب ت: ٢٩٢هـ /٩٠٤م):

١١- تاريخ اليعقوبي، تح: عبد الأمير مهنا، شـــركة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ط١، ٢٠١٠م.

المراجع:

-أحمد (أحمد رمضان):

١- الرحلة والرحالة المسلمون ، دار البيان العربي ، جدة ، د.ت .

-البستاني (بطرس):

٢- محيط المحيط قاموس مطول للغة العربية ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٨٧م.

-حسن (سليم):

٣- مصـــر القديمة من أواخر عهد بطليموس الثاني إلى آخر عهد بطليموس الرابع ، د.د ، د.م ، د.ت .

-حليفي (شعيب)

٤- هوية العلاقات في العتبات وبناء التأويل، دار الثقافة ، الدار البيضـــاء ، ط١ ، ٢٠٠٥م .

-حمود (خضر موسى محمد):

٥- أدب الرحلات وأشـــهر أعلامه العرب ونتاجهم ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط١، ٢٠١١م .

-الخياط (نمير نذير):

٦- البحار والمحيطات، د.د ، د.م ، ٢٠٢١م .

-الدفاع (علي بن عبد الله):

٧- رواد علم الجغرافية في الحضـــارة العربية الإســـلامية ، مكتبة التوبة، د.م ، د.ت .

-الزركلي (خير الدين ت: ١٣٩٦هـ):

٨- الأعلام قاموس تراجم لأشـــهر الرجال والنســـاء من العرب والمســـتعربين والمستشرقين ، دار العلم للملايين ، بيروت، ط٥ ، ٢٠٠٢م.

-عمارة (محمد):

٩- قاموس المصـطلحات الاقتصـادية في الحضـارة الإسـلامية، دار الشـروق، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.

-الغزالي (علي) بيداء (الشريفي):

١٠- ابن خرداذبة ومكانته العلمية دراسة تاريخية ، د.د ، كربلاء ، د.ت .

١١- أدب الرحلـة في التراث العربي، مكتبـة الـدار العربيـة للكتـاب ، القـاهرة، ط١، ٢٠٠٢م،

-مجموعة مؤلفين:

١٢- المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط٤ ، ٢٠٠٣م .

-مسعود (جبران):

١٣- الرائد معجم لغوي عصري، دار العلم للملايين، بيروت، ط٧ ، ١٩٩٢م .

-المراجع المعربة:

-بروكلمان (كارل):

١- تاريخ الأدب العربي، تر: يعقوب بكر ورمضان عبد التواب، دار المعارف، د.م ، ط٣ ، د.ت .

-**رسكي (مينو):**

٢- الجغرافيون والرحالة المسلمون، تر: عبد الرحمن حميدة، الجمعية الجغرافية الكويتية ، الكويت ، ١٩٨٥.

-**كراتشكوفسكي (أغناطيوس):**

٣- تاريخ الأدب الجغرافي ، تر: صلاح الدين عثمان هاشم ، جامعة الدول العربية ، مصر ، د.ت .

-**لسترنج (كي):**

٤- بلدان الخلافة الشرقية ، تر: بشير فرنسيس وكوركيس عواد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت، ط٢ ، ١٩٨٥م.

-**هنتس (فالتر):**

٥- المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري ، تر: كايل العسلي ، منشورات الجامعة الأردنية ، الأردن ، ١٩٧٠م.

-**المجلات:**

- **الصياد (خلاصة) :**

١- قراءة في الواقع الاقتصادي للعالم الإسلامي في القرن الثالث الهجري من خلال كتاب البلدان لليعقوبي ، مجلة جامعة حمص ، مج ، العدد ، ٢٠٢٣م ، حمص ، ٢٠٢٣م .

-**سلطان (نزار) :**

٢- المسـجد الأموي من خلال رحلة ابن جبير (٥٤٠- ٦١٤هـــ/ ١١٤٥- ١٢١٧م) ، مجلـة جـامعـة حمص ، مج ٤٥، العدد ٢، ٢٠٢٣م ، حمص ، ٢٠٢٣م .